الجمهورية الجزائرية الدّيمقراطية الشّعبية

وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم

كلّية الآداب والفنون

قسم الأدب العربي

مذكّرة تخرّج لنيل شهادة الماستر في اللّغة والأدب العربي

التّخصّص الأدب والحضارة العربية

الموضوع:

القيّم الجمالية في شعر مفدي زكريا

إلياذة الجزائر أنموذجًا

من إعداد الطالبة:

مهيدي ربيعة

تحتإشراف الأستاذ:

د لحسن رضوان

السنة الجامعية:2014 / 2015

مقـــــــدّمة:

المتصفّح لتراثنا الشّعري النّقدي، نجد تعدّد المفاهيم و المصطلحات حول القيم الجمالية، فأوّل ما كانت تنعت بمفهوم "التأثير الأدبي" أمثال القاضي الجرجاني (ت 392هـ)، الذي كان سبّاقا إلى استخدامه و استعماله في دراسته النقدية خلال القرن الرابع الهجري، ثمّ أتى بعده عبد القادر الجرجاني (ت571هـ)، الذي تحدّث عنها مطوّلا و أفردها بدراسة خاصة في دراسته التّحليلية لفكرة "التّأثير الأدبي " عندما تحدّث عن الذّوق في مختلف نواحي التّأثير الأدبي.

وهكذا أخذ المفهوم يتطوّر شيئا فشيئا حتّى وصل إلى العصر الحديث و المعاصر فأصبح يعرف بمصطلح القيم الجمالية، ومن هنا رحت أختار شاعرنا الجزائري "مفدي زكريا" كشخصية أدبية لدراسة القيم الجمالية في شعره و أنموذجي في ذلك إلياذة الجزائر المشهورة.

و لمّا كانت الدّراسة التّحليلية في شعر مفدي تقوم أساسا على تتبّع عناصر الشّعر و مقوّماته، و تتبّع الأثر الفني للقصيدة، رحت أتساءل: هل ثمّة قيم جمالية في شعره، وإلى مدى استطاع شعر مفدي من خلالها التّأثير في النّفوس.

و اختياري لهذا الموضوع لم يكن من باب الصّدفة جزافا و اعتباطا، و إنّما لاعتبارات ذاتية و أخرى موضوعية، من حيث أنّ الموضوعات التي تطرّق إليها مفدي زكريا كانت تشدّ انتباهي، فأتفاعل معها إلى أقصى درجة خالصة، ثمّ معرفة إلى أيّ حدّ ساهمت الدّراسات التّحليلية في إثراء المادة المعرفية لدى الباحث، أمّا من الناحية الموضوعية ، عدم وجود قراءة مستفيضة حول القيم الجمالية في شعر مفدي هذا ما دفعني لدراسة هذا الموضوع.

و قد اخترت شعر مفدي زكريا لإجراء درس هذه القضية ،انطلاقا من أنّه نصّ لغوي يمثّل اللّغة العربية في مستوى جيّد، حيث أنّه مشهود له بعلو مستوى اللّغة، و بمهاراته الفنية ، وتجاوب اللّغة و الأسلوب ، والصورة، والموسيقى، المعجم الشعري مع طبيعة الموضوع في إلياذة الجزائر.

وعملت على تقسيم موضوع دراستي على الخطّة التّالية:

مقدّمة، مدخل، و فصلين أحدهما نظري و الآخر تطبيقي، ثمّ خاتمة.

مقدّمة جاءت كتمهيد لموضوع البحث.

مدخل و انصبّ فيه الحديث عن السيرة الذاتية لمفدي زكريا

أ - حيـــــاتــه

ب - شعـــــره

1 -شعره في الثّورة الجزائرية .

2 -شعره في وحدة المغرب العربي الكبير .

3 -شعره في مناصرة القضية الفلسطينية .

4 -الجانب الإسلامي في شعـــــــــره.

تناولت الفصل الثّاني و أوسمته بالقيم الجمالية في شعر مفدي زكريا دراسة نظرية و يندرج تحته

1- الالـتـــــزام

2- التجديد في الأغراض التقليدية

3- الموسيقى الشعـــرية

أ- الموسيقى الخارجية

ب - الموسيقى الداخليـة

4- الصورة الشعـــريـــة

5- المعـجم الشعـــــــري

6- الأسلوب و اللغـــــــة

أمّا فيما يخصّ الفصل الثّاني فقد أفردته لدراسة تجليات القيم الجمالية دراسة تطبيقية الإلياذة أنموذجا.

1- تطبيق في الموسيقى الشعرية

2- تطبيق في الصور الشعرية

3- تطبيق في المعجم الشعري

4- تطبيق في الأسلوب و اللغة

وختمنا بخاتمة كانت بمثابة حوصلة عامة للنّتائج المتوصّل إليها من خلال هذه الدّراسة.

اقتضت استراتيجية البحث منهجا وصفيا تحليليا، يظهر ذلك في تحليلي لبعض المقاطع من إلياذة الجزائر.

و لقد واجهتني في هذه الدّراسة انسدادات كانت تنفرج بين الحين و الآخر و هذا منطقي، و لكن سرعان ما زالت، ذلك لأنّ البدء في العمل نصفه.

وبما أنّ كتب الدّراسات في شعره قليلة فاعتمد على البعض منها: إلياذة الجزائر لمفدي زكريا، الشعر الجزائري لصالح الخرفي، تأمّلات في إلياذة الجزائر لبلحيا الطّاهر شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم لحواس بري و غيرها.

و أخيرا نسأل الله التّوفيق و السّداد في عملي فإن وفّقت فمن الله وإن أخفقت فمن نفسي و الله وليّ التّوفيق ، وهو وراء كلّ مقصد .

كما أتقدّم بجزيل الشّكر و الامتنان و العرفان إلى أستاذي الكريم الدّكتور "لحسن رضوان" الذي قبل طواعية الإشراف على هذا البحث، و لما بذله من جهد صادق و أبداه من ملاحظات صائبة كانت رائد لي على الطّريق، أدامه الله و حفظه.

المدخل:

❖ **السيرة الذاتية لمفدي زكريا:**

أ- حياته:

بلبل الجزائر الصدّاح شاعر الثورة ذو الكلمات ذات الإيقاع الذّهبي والوقع النّاري، اسمه الكامل مفدي زكريا بن سليمان الشيخ صالح، ولدي ببني يزقن عام 1913م- بالجنوب الجزائري[1].

التحق بالمحظرة لحفظ القرآن الكريم، وتعلّم مبادئ الدّين الإسلامي، ولماّ بلغ السّابعة من عمره انتقل إلى مدينة عنابة للالتحاق بأبيه، فدخل المدرسة الابتدائية بمساعدة والده.

وفي عام (1924) أرسله والده إلى تونس مع البعثة العلمية الميزابية فدرس بمدرسة السّلام القرآنية لمدة سنتين، حيث أتقن جيّدا اللغّتين العربية والفرنسية،كما اطّلع على العلو م الحديثة[2].

وبعد حصوله على الشّهادة الابتدائية، انتقل إلى المدرسة الخلدونية فدرس الحساب والهندسة الجبر والجغرافيا والتّاريخ والتحق بعدها بجامع الزّيتونة، ومفدي زكريا كان يتابع أحاديث هؤلاء الزّعماء حول هموم العالم الإسلامي والأخطار المحدقة به، ومنذ تلك الفترة عقد العزم على الجهاد ضّد الاستعمار و الجهل والتّخلّف فاكتسب روحا وطنية عميقة إلى جانب تديّنه الشّديد وأخلاق عالية جداً، وكان كثير المطالعة في كل المجالات .

نظم الشّاب مفدي زكريا، الشّعر وهو في ريعان شبابه فكلّما تناول أساتذته موضوعا في القسم طلبوا منه أن يقول شعرا فيه فيرتجل بيتين أو أكثر من نظمه[3].

---

(1)- التواتي بومهلة، نماذج من الثورة في النص الشعري، دار المعرفة، دون طبعة، دون سنة ص 36.

(2)- المرجع نفسه ص36.

(3)- بلقاسم بن عبد الله ،مفدي زكريا شاعر الثّورة حوارات وذكريات ،المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائري ،الطبعة الثانية ،السنة 2003ص15.

عاد بعد ذلك إلى الجزائر وعمل في صفوف جمعية العلماء المسلمين، وانخرط في حزب نجم شمال افريقيا، وسجن مفدي خمس مرّات. كما جاء في ديوانه" اللّهب المقدّس" وفي عام(1955). طلب منه "عَبَّانْ رمضان" وضع نشيد رسمي للثّورة والوطن، فوضع نشيد "قسما" بتلحين الموسيقار" محمد فوزي" ليصبح النّشيد الوطني الرّسمي الذي يهز القلوب ويشحذ الهمم أثناء الثّورة، وبعد الاستقلال والذي يجب أن يردّده كل فرد من أفراد الأمّة الجزائرية[1].

كما أنّه، هرب من السّجن في فيفري عام (1959)، والتحق بصفوف الجيش التّحرير الوطني بالخارج.

توفي المجاهد والشّاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا في الثّالث من رمضان من عام (1397هـ) الموافق للسّابع عشر أوت عام(1977م) بتونس بعد سكتة قلبية، كان في لقاء حميمي مع بعض المجاهدين القدامى في حزب الشّعب الجزائري، وأثناء الثّورة، ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه بوادي ميزاب مغطى بالعلم الوطني، ودّع الحياة دون أن يرى حلمه المتمثّل في مغرب عربي موحد ولم ير إلاّ استقلال بلدانه والجزائر خاصة [2].

وترك مفدي زكريا إنتاجا شعريا ونثريا موزّعا ما بين المطبوع والمنشور في الصّحف و المجلاّت، ففي مجال الشّعر صُدر له ديوان (اللّهب المقدّس)في طبعته الأولى عام (1961)عن(المكتب التّجاري ببيروت)والثّانية عن(وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينية بالجزائر)،و الدّيوان الثّاني الذي صدر بعنوان(تحت ظلال الزّيتون عام 1965) عن(دار النّشر القومية بتونس)، كما صدرت(إلياذة الجزائر) في طبعات عدّة نشرتها مجلة (الأصالة) وقد ألّفها الشّاعر بمناسبة الملتقى السّادس للفكر الإسلامي الذي انعقد بالجزائر العاصمة عام(1972)[3].

---

(1)- أحمد دوغان، شخصيات في الأدب الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب ،دون طبعة،السنة 1989 ص40.

(2)- المرجعنفسه ص41.

(3)- سعاد محمد، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات المكتبة العصرية لبنان ص 82.

أمّا في مجال النّشر فقد صدر له بمشاركة الأديب التّونسي(الهادي العبيد) كتابان هما(الأدب العربي في الجزائر)، ويقع في أربعة أجزاء، (أنتم النّاس أيها الشّعراء)وهو في النقد التحليلي، وبمشاركة كذلك الأديب التّونسي(الحبيب شيبون) له كتاب بعنوان(صلة الراحم الفكرية بين أقطاب المغرب العربي الكبير)، إضافة إلى ذلك كتابان هما(تاريخ الصّحافة العربية في الجزائر). و(أقطاب الفكر بالمغرب على الصّعيد العالمي) بمشاركة المؤرّخ التّونسي (محمد الصّالح المهدي)[1].

ولا أدري لماذا أجدني أقسّم حياة الشّاعر هذه المراحل الستة التي مرّت بها حياته الشّعرية و السّياسية "النّضال "و جهاده بالقلم، حيث أنّ كلّ مرحلة متميّزة عن سابقتها بمجموعة من الخصائص الفنيّة على مستوى الموقف في جهاده الطّويل و المرير، يمكن أن نعتبرها ملخّص لما ذكرناه من قبل.

❖ مراحل حياته:

1 - (1913- 1922) طفولته وتعليمه الابتدائي.

2 - (1922- 1926) سفره إلى تونس و دراسته بالزّيتونة.

3 - (1926-1936)فترة البحث عن الذّات،(الضّياع).

4 - (1936- 1954) عمله السّياسي في الأحزاب.

5 - (1954-1962) عمله العسكري (سجنه).

6 - (1962-1977) ضياعه من جديد و البحث عن الهوية.

❖ المرحلة الأولى:

وتمتد هذه المرحلة منذ سنة ولادته (1913) إلى سنة سفر إلى تونس سنة (1922) وتتميز بحفظ القرآن كما أسلفت رحيله إلى مدينة عنابة رفقة والده[2].

(1)- أحمد دوغان ، شخصيات في الأدب الجزائريص 83.
(2)- عمر بن قينة،، في الأدب الجزائري الحديث(تاريخا، وأنواعا، وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دون طبعة ، السنة 1995 ص 71

❖ المرحلة الثانية:

وتمتد من فترة سفره إلى تونس إلى عودته منها وبالتّحديد من سنة (1922)إلى سنة (1926) وتتميز بتلمذته النجيبة على مجموعة من الفقهاء والأدباء [1].

❖ المرحلة الثالثة:

وتمتد من سنة عودته إلى الجزائر إلى سنة تعيينه رئيسا للجنة التّنفيذية في حزب النّجم، أي من سنة(1926) إلى سنة(1936) وهي فترة الضّياع، كما هي عند الكثير من العباقرة الكبار الذين يمرّون بفترة البحث عن الذّات [2].

❖ المرحلة الرّابعة:

تمتدّ هذه المرحلة من سنة (1936) إلى سنة (1954) وهي الفترة التي انضمّ فيها إلى الحركات الوطنية التحريرية و التي كان عملها السياسة، وكانت تنتظر لحظة انطلاق الحرب، و تعتبر هذه المدّة من أخصب الفترات المبكرة جدا للعمل السّياسي العقلي، والذي نجده في أيّامنا هذه بعض الساسة يطمحون إلى تحقيقه نظريا...ألا و هو قضية الوحدة المغاربية تونس الجزائر اليوم، والمغرب، شعب لن يستطيع انفصالا.

"وحدة أحكم ألا له سداها من يريد قطعها أراد مجالا "

"نبتت من أب كريم، وأمّ وسمة في الحياة عمّا و خالا"

إنّ وحدة الشّعوب لا تستطيع أن تقف أمامها الموانع الجمركية و هذه الحناجر تصرخ بأعلى الأصوات بأنّها أمّة واحدة، أمّا أبا وعمّا و خالا.

حيث ألاحظ بداية هذا النّص، بأنّ مشروع مفدي السيّاسي كان جدّ متقدّم على زمانه، و على نظرة رفقائه، ومن خلال هذا يتبيّن أن هذه الفترة هي مرحلة نضج سياسي مبكّر ووعي بالقضية التي كرّس حياته لها.[3]

(1)- عمر بن قينة ، في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا ،وقضايا، وأعلاما) 74.
(2)- المرجع نفسه ص75.
(3)- المرجع نفسه ص76

❖ المرحلة الخامسة:

وتمتدّ هذه المرحلة من سنة (1954) إلى سنة (1962) وهي أهمّ مرحلة على الاطلاق في حياة هذا الرّجل، حيث أظهر فيها براعة شعرية نادرة، وكتب خلالها أهمّ الأناشيد الوطنية التي كان جرت ممارستها منذ فترة طويلة.

فقد كتب نشيد (من جبالنا طلع صوت الأحرار) سنة (1932) هذا إذا أخذ بالرّأي الذي نسب هذا النّشيد مفدي، لأنّ هناك آراء أخرى للنّشيد لثائر جزائري من جبال الأوراس لا يعرف اسمه.[1]

❖ المرحلة السادسة:

تمتدّ من سنة (1962) إلى لحظة وفاته يوم 3رمضان1397 الموافق 17أوت 1977 ،وهي فترة ضياع جديدة لكن ضياع من نوع خاص هذا الذي ألحّ على تسميته بالضّياع، الذي لا رجوع منه .[2]

(1)- أحمد دوغان ، شخصيات في الأدب الجزائريص 76.

(2)- المرجع نفسه ص77.

ب- شعره:

1-شعره في الثورة الجزائرية:

يظلّ الحبّ هو الدّافع الذي يرتمي الشّعراء من أجله في براكين الثّورات، شاهدين عليها بشعرهم و مشاركين فيها بأنفسهم حتّى تحفل بهم الزّنازن، وتمتلئ بهم السّجون فيدشنون المقاصل غير آبهين بما تفعله أيدي الظّالمين و الطّغاة.

وقبل الحديث عن رحلة الشّاعر مع الثّورة الجزائرية لابدّ أن نشرع في الحديث عن وطنية الشّاعر، و حبّه الخالص لوطنه ،ذلك لأنّ الدّارس لشعر مفدي "يلمس في إنتاجه المبكّر حبّا للجزائر جارفا، وحنينا إلى وجهها الذي مازج دمه ودخل شغاف قلبه في هذه العاطفة الجيّاشة المتدفّقة من كلّ قصائده، وهي تصوّر لنا حبّ شاعر حساس يعشق مواطن الجمال في وطنه، فيتغنّى به جزءا جزءا وموطنا من الشّرق الغرب، ومن الشّمال إلى الجنوب، ولم نر بين الشّعراء من يدانيه في هذه الخصيصة "، ذلك لأنّ مفدي كان شعاره الوحدة ، وحدة الوطن ووحدة الهدف والمصير لأبناء الشّعب الجزائري، ومن ثمّ تغنّى بالقطر الجزائري كلّه ليبرهن على دعوته المنبثقة عن حبّه للجزائر جملة وتفصيلا.[1]

وإذا كان التغزّل بالجنس الآخر نمطا تقليديا عند الشعراء الشّباب في باكورة إنتاجهم أو في بداية حياتهم الأدبية، فإن مفدي تنزّه وهو يدافع عن التّغزّل في الجنس الآخر، ودفعه ذاك الحبّ وذلك الاعجاب بالجزائر إلى أن يتغزّل بها ويضرب صفحا عن التّغزّل بغيرها، وكأنّه كان يتمثل في هذا المنحى الذي نحاه والمسلك الذي سلكه لنداء صديقه وزميله الشاعر (رمضان محمود) حيث قال: "من أراد منكم التّغزّل فليتغزّل بوطنه الجميل" الذي أخذ الألباب ولفتت الأنظار بجماله الفاتن حتّى وقعت فرنسا في غرامه.[2]

---

(1)- حواس بري، شعر مفدي دراسة و تقويم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر دون طبعة ، السنة 1994 ص59.

(2)- المرجع نفسه ص59.

ومن شعره في حبّه للجزائر قوله:

رَسُولَ الهَوَى بَلِّغ سَلاَمِي إلى سَلْمَى وَعَاطَ حَمِيَا ثَغْرَهَا البَاسِمِ الألَمَـــى

وَنَـــاجَ هَـوَاهَا عَلَ في الغَيْبِ رَحْمَة تَدَارَكَ هَذَا القَلْبُ أَنْ يَنْقَضَي هُمَـا

وَبَثَّ شُكَـــــاةُ مِن مُشَـوِّق مُتَيَّـــم لَـهَ كَبـَد حُـرَى تَضِيق بِهِ غَمـــًا

فمن هي (سلمى) يا ترى التي شغفه حبها، وتيمه عشقها؟

بـلادي، بـــلادي ما ألذّ الهـوى ومـا أَمَرَّ كُؤُوسَ الحـبِّ مُمْتَـزَجَا سُمَـا

بـلادي، ألا عَـطَف عـــليَّ بِنَظـرة حَنانيكَ مَا هذا السُّلُـوَ وَ لاَ إثمَـــا [1]

هكذا عن طريق الرمز (سلمى) استطاع مفدي أن يعرب عن حبَه الجارف وحنينه القوّي إلى بلاده التي أحبَها إلا أنّ الحبّ نغصه وجود الدخيل الذي رمز إليه بالسّم الذي كدح صفاء الحبّ بمرارته، لذا فالشاعر يطلب عطف بلاده التي أحبّها منذ فتح عينيه على هذا الوجود، ولم يسبق له أن أحبّ غيرها.[2]

فالشّاعر في هذه الفترة أن لا يتلاعب وغراب اللّيل في وطنه، ولا يلهو بما يلهي به أترابه لأنّ وطنه أسير، وأمّته ثكلى تدمى بالجراح، وهذا أصبح لغراما عليه أن يتخطّى سنّ المراهقة ويتخلَّص من قيود هوى النّفس ليقع في غرام الوطن الثّائر.

فإذا الشّاعر الجزائر اعتبر أنّ العزوف عن الأغراض التقليدية شيء تقتضيه الضرورة وتفرضه المرحلة التي يمرّ بها الشّعب الجزائري، فمفدي قد ظل يتغزّل غزلا سياسيا أو بعبارة أخرى صار الغزل عنده رمزا موازيا، وإن كان يصفح بين الحين والأخر عن حبّه لوطنه دوّن إلى الرّمز ومن قوله :

(1)- يحي الشيخ الصالح، شعر الثورة الجزائرية عند مفدي زكريا دراسة فنية تحليلية، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة، الطبعة الأولى، السنة1987ص66

(2)- حواس بري، شعر مفدي، دراسة وتقويم ص 61.

وَطَنـــي بالـدّم الزّكـي أفْـديـــ كَ يَميـِنا شَـــرِيفَة وَعـُـــــهُودَا.

وَطَنِي فِي هَوَاكِ أَخلصت شِعري وَضَميرِي وَمهجَتِي وَ الوُجـــوُدَا.

وَطَنِي أَنْتَ جَنّة الخَلد فِي الأَرْضِ فَهَيْهَاتَ فِي الوَرَى أَنْ تَبِيـــــــدَا

وَطَنِي إِنَّنَا ضحَايَاكَ فِي السِّـــلّمِ وَفِي الحَـــرْبِ بُغْيـــة أنْ تَـسُودَا.

فَـــإذَا شِئْـــتَ فاتخذنا سُيُوفَـــا وَاتَّـــخَذْنَا إِذَا رَأَيْـــتَ وُقُـــودَا.[1]

أيّ حبّ وأيّ وفاء الذي يلحظه عند الشّاعر ونجده عند الفنان الثّائر، عندما يكرّس نفسه وما تملك من شعر وضمير وروح، وحتَى كينونته، ولا بأس أن يذهب فداء لوطنه الذي أحبّه، وأكثر من هذا أيّها الوطن، ففي سبيل الوطن يصبح كل شيء لامعنى له عند الشّاعر حتى تصير النّفوس سيوفا و الأجسام وقودا تتلظى سعير نيران الحرب في ساحة الشّرف والقداسة، فداء الوطن وطلبا للحرية[2].

وإلى جانب الحبّ للوطن يعتزّ الشّاعر طربا لما حقّقه الأجداد من انتصارات، ولما توصلوا إليه في عالم الحضارة، ومن هذا المنطلق يرفض الشّاعر الحياة في ظل العبودية، ويحفّز قومه إثارة النخوة العربية ليمضوا نحو العلاء والسّؤدد.

نَحْنُ قَـوْم جُـدُودنًا مَلَكُـوا الدُّنْيَـا فَهَيْهَـاتَ أَنْ نَعِيـــشَ عَبِيـــدَا.

صَيْد فِي الدِّمَاءِ مِنْ نُخْـوَةِ الملـــك يُنَادِي بِنَا العَـــلاَ وَالصُّعُـودَا[3].

وإذا عرفنا حبّ الشّاعر الصّادق لوطنه، فإنّنا لا نرتاب عندما نجده يتغنّى ببطولات شعبه ويسجل انتصاراته التي كان يحقّقها على الأعداء، وبذلك كان له فضل الرّيادة في الحلم بالثّورة فارتفع إلى مستوى النّبوءة، ثم واكب مسيرتها المظفرة لينقل صورا نادرة من ملامحها البطولية، فكان ممن كتب من قلب الثّورة ومن صميم جو الثّورات التي سبقتها منذ

(1)- مفدي زكريا، اللهب المقدّس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون طبعة، السنة 2007 ص63.

(2)- حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة وتقويمص 64.

(3)- المصدر نفسه ص147.

عشرات الأعوام.

ونجد أن الشّاعر نشأ وترعرع متبنيا قضية الجزائر لكلّ مداها وعمقها وبجميع دلالاتها وأبعادها، فعاش تجربة الثّورة متحّمسا لآلام وآمال الجماهير الشّعبية الكادحة التي أوقدت لهيبها، ورفعت مستعلها فصور ذلك كلّه بواقعية حية واخلاص عميق مساهما في خدمة قضية الوطن الكبرى.

وقال مفدي زكريا في الذّكر في الثامنة والسّبعين لوفاة الأمير "عبد القادر" الذكرى السادسة لاندلاع الثورة:

فَإِذَا ذَكَرَ التَّارِيـــخُ أَبْطَـــــــالَ أُمّـة ... يَخر لِذكراك الزَّمَان، وَيسْجـد
وَإِن تَذكر الدُّنيَا زَعِيمَـــــــــا مُخَلَد ... فَإِنّك فِي الدُّنْيَا الزَّعِيم المُخَلّـد
آثرت عَلَى الضاملينحرباَ لَـمْ تَـزَل ... عَلَيْهِم تلظى كَالجحيمِ، وَ تُوقِـد
فَمَا خَمَدَت نيرَان حربـك لَحظـــة ... وَهَيْهَات، نِيرَان الجَزَائر تَخْمـد
حَدِيثُك تَتْلُوهُ البَنَـــادِق فِـي الوَغـي ... نَشِيـدَا، يُغْنِيـهِ الزَّمَـان ويُنشد
وَجَيْشَكَ عَبْد القَـــادِر اليَـوم ظَافـر ... يُحطّم هَا مَـات الطَّغاة ويَحِصد
يُقَدّس فيك الشَّعـب أَعظـــم قَائـد ... هَمَام، لَه الأَجيَال تَرْوِي وَتشهَد [1].

استطاع مفدي أن يرثي الأمير عبد القادر، ولكن رثاء يختلف عن الرّثاء الذي عهدناه عند غيره من الشّعراء، لم يقف فيه على البكاء وإنّما لمسانا من خلاله دور الأمير عبد القادر ومدى تأثيره في الثّورة الجزائرية وتبعا لذلك رأينا الشّاعر كيف يصوّر استمرارية الثّورة، وأصالة الشّعب الجزائري فيها. [2]

وإذا كان الشّعراء كما عرفوا يبكون أن يتباكون لعزيز فقدوه أو لصاحب مال أضاعوه، بأفول نجميه ورحيله من هذه الدّار إلى الدّار الأخرى فإن مفدي لم يعرف البكاء إلى نفسه سبيلا إلا على الجزائر التي ظلّت ردحا من الزّمن تتلظّى سعير الحرب، ولذلك كانت الجزائر بالنسبة إليه هي الأمل الهدف والرجاء "و لذلك فإنّ عناصر المضمون في

(1)- مفدي زكريا ، أمجادنا تتكلم ص 58.

(2)- حواس بري ، شعر مفدي زكريا ص 19.

شعره تتميز عن كثير من الشعراء العرب الذين عاصر وإذ تخلو أشعاره من اليأس والقنوط والاحباط وتكريس السودانية.[1]

وأما ألحظه في شعر مفدي زكريا أنّه لم يتخل عن ذكر الثّورة الجزائرية مهما كانت المناسبة، فهو لا يستطيع التَخلص من ذكرها، حيث أحبّها حبّا قويا، حتى أدّى به ذلك إلى أن يكتب النشيد الرسمي للثورة الجزائرية مادام هو شاعر ثورة المليون ونصف المليون من الشهداء بدون منازع، ومنه يقول:

قَسَـمًا بِالنَازِلاَت المَــاحِقَات وَالدِمَـاء الزَكِـيَات الطَّـاهِرَات

وَالبَنُـود اللاَمِعَـات، الخَافِقَات فِي الجِبَال الشَّامِخَات الشَّاهِقَات.

نَحْنُ ثُرْنَا فَحَيَــاة أَوْ مَمَــات

وَعَقَدْنَا العَزْمَ أَنْ تَحْيَا الجَزَائِر

فَاشْهَدُوا....[2]

أمّا فيما يخص النشيد الرسمي للعلم الجزائري فقد كتبه بدمه وأهدافه للحكومة الجزائرية.

هيّا هيّا قفوا

وارفعوا العلم ...

وانشدوا واهتفوا

واعزفوا النّغم ...مدافع

اقصفوا المدافع ..تسمع الأمم.[3]

(1)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويمص 97.

(2)- مفدي زكريا، اللهب المقدسص61.

(3)- محمّدا لطمار،تاريخ الأدب الجزائري، دار النّشر الجزائر، دونطبعة ، السنة 2007 ص351 .

2 - شعره في وحدة المغرب العربي الكبير:

لعلّ أوّل قضية كانت تشغل فكرة مفدي زكريا بعد الثّورة الجزائرية هي مشكلة وحدة المغرب العربي، وقبل أن نتعرض لهذه المشكلة في شعره نقدّم لمحة وجيزة عن المغرب العربي.

المغرب العربي اسم أطلقه الفاتحون المسلمون على مغربنا الكبير في القرن الأوّل هجري، وقسّمه المسلمون في مصر والشّام إلى ثلاثة أقسام: المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، عندما فتحوه في آخر القرن الأوّل هجري في عهد الخليفة الأموي(عبد الملك بن مروان)، وكان الاسم الغالب على المغرب في جزيرة العرب أيام الخلفاء الرّاشدين و(أفريقية). تراهم يقصدون به تارة تونس وطرابلس، وتارة تونس وحدها وتارة أخرى المغرب كلّه[1].

والحقيقة أنّه ليس هناك حدود ولا شبه حدود طبيعية بين هذه الأجزاء في مغربنا الكبير، بل هو وطن واحد وأمة واحدة وجنس واحد ودين واحد، خلق الله فيه كلّ أسباب الاتحاد و التّضامن، ولكنّ الأطماع السياسية التركية قسمته ذلك التّقسيم وجعلت بين أجزائه تلك الحدود، فجاء الاستعمار اللاتيني (الفرنسيّ الايطالي) فأيّد ذلك التّقسيم المزعوم ليمزق وحدة المغرب العربي، وفرق بيّن أبناء الوطن الواحدة ليسهل عليه التّحكم فيهم، والتصرّف في خبراتهم وثرواتهم[2].

ومادامت دعائم الوحدة متوفرة و شروطها مستوفاة، فقد كانت هناك مبادرات لتحقيق مشروع الوحدة، وكان شاعر المغرب العربي(مفدي زكريا) يتغنّى بها ويشيد برجالها وبما يقومون به في سبيل تحقيق هذا الهدف القومي[3].

---

(1)- سعد بوفلاقة، دراسات في المغرب العربي ، الجزائر، دون طبعة، السنة 2007 ص 13 ، ص 18.

(2)- المرجع نفسه ص 19 .

(3)- نور السد، القضية الجزائرية عند بعض شعراء العرب ص 19 .

وفقد رأى مفدي أنّ الوحدة المغربية قضية معرفة في القدم لذا لم يتخرّج أو يستنكف من أن يجعلها كعقيدة التّوحد في الخالق جلّ و علا وكانت هذه الوحدة أملا يريد تحقيقه وهدفا يسعى جادا للوصول إليه والوقوف عند حقيقته فمدح زعماء الأوطان حتى ظنّوه يتملّق، ورماه آخرون بأنّه يريد أنّ ينال من فتاه موائد الملوك والرؤساء، ولكنّ الحقيقةغير ذلك وها هو على لسان حاله يرّد على هذا الادّعاء الباطل ليدحض ما رماه به المتحاملون عليه:

قَالُوا رِجَال الحُكم قلْت لَّهـــــــم من كَانَ للشَّعب خلاقا مَدَحْنَــاه

أَوْ كَانَ لِلْوِحْدَة الكُبْرى بِمَـغْربِنَـــا يُبْنَى عَلَى البَرِّ وَالتّقْوَى عَشَقْنَاه

لاَ يُجْحَد الفَضْل إِلّا مَنْ بِــهِ سَفَــه وَلا النَّهْيُ غَيْر مَنْ سَاءَت نَوَايَاه

فَكَيْفَ نَبْخَل بِالذّكر الجَمِيــل عَلَى مَنْ ظَلَّ يَمْدَحَه عَــنْ فَعلَـه اللّه [1].

وما دام مفدي زكريا يرى أنّ هذه الوحدة مسؤولية وليست دعاية لا أساس لها من الصّحة أو ادّعاء لا يُؤَيّد دليل، ذهب يسجل تلك الانتصارات التي حقّقها أبناء المغرب العربي، ومن هذا الاحساس الصّادق راح مفدي ينشد قصيدته التي نظمها في هذا النّصر فرحا جذلان في شوارع تونس حتى أدخل السّجن من أجلها [2].

وقد حقّقت القصيدة نجاحا عظيما على المستويين الفكري والأدبي، فيما يخص البعد الأدبي فقد أعطت القصيدة الشّاعر فرصة لأن يبرز إلى الحياة الأدبية على أنّه شاعر المغرب العربي وليس شاعر الجرائر وحدها لإحساسه الوطني النّبيل وشعوره المتدفّق بوحدة الهدف ، والمصير " تلقتها جريدتنا (لسان الشّعب) و(الصّواب) التونسيّة"

واستطاعت القصيدة لأهميتها أن تتخطى الحدود إلى الشّرق العربي وتستقبلها جريدتا اللواء) و(الأخلاق)[3].

(1) - حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص 120 .
(2) - المرجع نفسه ص121.
(3) - المرجع نفسه ص 122.

ومنها يقول:

بَنِي الرِّيف مَنْ كَانَ يَهْوَى الحَيَـاة يَهُون عَلَيْه رُكُــوب الخَطَــر

فَعَـــــرْش السَّعَــادَة لاَ يَبْتَــنِي لَقَوْم سِـــوَى فَــوْقَ هَـام أُخَـر

وَ بَيْـــنَ البـــــلَاد وَدَسْــتُورهَا ضَحَايَا نُفوُس وَسِجْـــن أُســـر

وَلَـنْ يَبْلُـــغ العِـــزُّ إلَّا الـــذِي عَلَى رَشفِ كَأْسِ العَذَاب صَبْر [1].

من الواضح أنّ الشّاعر مفدي في هذه الأبيات لم يتوجه إلى بني الريف وحدهم وإنّما أراد أنّ يثير همم الجزائريين والتونسيين وهم يتلظون سعير نيران الحرب حتى يثور وأعلى الاستدمار، و يضرب الشّاعر المثل في التحدّي بأهل(الرّيف) إيمانا منه بأنّ الثّورة هي الحل الأمثل والأسلوب الأجدى مع غاصب الحق والمتعدّ ى على شرف الوطن،(فرنسا)

ولعلّ مفدي يحدّ من يؤازره في دعوته إلى وحدة المغرب العربي فيذكر بأنّه دعا إليها وهو ما زال طفلا صغيرا:

وَفِي المغْرِب الجَبَّار شَدت وِحْـدَة سبقَت بِهَا فِي فَجْرِ عُمْرِي أَقْرَانِـــي

وَأَحْبَبْتُ أَوْطَانِي رَضِيعَا وَلَمْ أَزَلْ أَغنَى مَعَ الدُّنْيَا بِأَمْجَاد أَوْطَـــانِـــي

وَهمت بِأَبْنَاء العُرُوبَـــــة يَافعَـــا أَرَى كُلَّ أَبْنَا العُرُوبَة إِخْوَانِـــــي [2].

وقد كانت وحدة المغرب العربي عقيدة راسخة في ذهن الشّاعر، استهواه حبها، فدعا إليها بدعوة المحبّ، لذلك لم يعر مفدي أي اهتمام للخلافات السياسية التي تحدث بين الأشقاء وكان يعتبرها سحابة صيف، سرعان ما ينقشع ضبابها، وعاش مفدي يعشق

المغرب العربي كّله بما فيه ومن فيه.

(1)- مفدي زكريا، اللهب المقدس ص 122.

(2)- المصدر نفسه ص 133 .

أَنْتَ أَلْــهَمْتَنِي وَ مَازِلْتَ طِفْــلَا أَيُّهَا الشِّعْر آيَــة التّوْحيِــــــد

وَتَغَنَّيْت مُنْــذُ فَــجْر شَبَــابِــي بِالتحام القِوَى وَدَعْم الجُهُــود

لَمْ أَزَلْ صَالِحَا عَلَى كُــلّ غُصْن مِن رَبِّي المَغْرِب الكَبِير العَقــيِ

مَغْــــــرِبِــــي جَنَّــــــة الله سِوَى كُلّ صَــــــــالِح وَسَعِيد [1].

إنّ أهمية الشعر مفدي زكريا في الاتجاه تكمن في كونه شاعرا مارس العمل النضالي، واكتوى بنار الثّورة في كلّ مراحلها وواكب أحداث المغرب العربي السياسي في تطوراتها، وتعرف إلى مناضليه عن احتكاك وزمالة وجسّد في شعره آلامه آماله فغدا وثيقة حية تؤرّخ لمدة نصف قرن من حياة المغرب الكبير، وإيمانه الراسخ في شعر جعله مواطنا مخلصا، يعد وطنه من الخارطة الجغرافية يمتد من(أغادير) غربا إلى(صفاقس) شرقا وفيه يلقى الحفاوة البالغة والتقديم العظيم من الأشقاء في تونس والمغرب، ويكون محل الرعاية والعطف من زعماء المغرب الكبير يتلقى منهم الهدايا القيّمة ويحلون صدره بالأوسمة الرفيعة اعترافا بنضاله وتكريما لشاعريته، ومن ثم كان يشعره بالمواصلة الحقيقية و الطمأنينة [2].

(1)- مفدي زكريا ،اللهب المقدس ص134.

(2)- سعد بوفلاقة ، دراسات في المغرب العربي ص20

3-شعره في مناصرة القضية الفلسطينية:

ومن القضايا العربية التي اهتمّ بها الشّاعر مفدي قضية فلسطين التي تتوجّه الأنظار إليها ،ما دامت تحتلّ مكانة في قلب كلّ عربي مسلم و تشغل حيّزا من تفكيره.

ومفدي شاعر من شعراء الجزائر الذين حسبوا أنّ ضياع فلسطين هو انتهاك لحرمة العرب وتحد لمقدساتهم الإسلامية ،ومن هنا كانت قضية فلسطين قضية محورية في شعره، لذلك كلّما وجدناه يتحدّث عنها لمسنا في شعره قلقه على الأوضاع العربية المتردية و التي كانت السّبب في ضياع فلسطين:

كَمْ مَنَ المُتَهَات ضَاعَ الرُّشْدَ و إِنْ طمست عَنَّا الثَّنَايَا وَ فِي الأَحْشَاءِ ثَعبَان

وَقِبْلَةَ المَسْجِد الأَقْصَى مضرجَــة يَسْعَــى بِمقدســـــهَا رِجْـــس وَبهْتَـــان. [1]

وما دام العرب لم يصلوا بعد إلى ما يجب الوصول إليه من حبّ وإخاء ووفاء وإيثار وما إلى ذلك فإنّ مفدي يستبعد أنّ يكون للعرب موقف من اليهود ،ولا يمكن أن تقوم لهم قائمة ما دامت الأقوال تخالف الأفعال.

وَوِحْدَة الصفِّ إِنْ تخلص ضَمَائِرنَا إِنْ لَنْ يستذل أَسود العَرب قطعَان

وَمَا اسْتَقَام بِنَاء العـــرَب فِي وَطن أَبْنـــــاؤُه كُلّما عاَهَدَتـــهم خَانُوا

و ترتّب على هذا أنّ:

نِفاَيَـــــات الشُّعُـــــوب تَقَاسَمَتْهـا وَدَنَّس حرمة العَرَب المَـــوَالِي. [2]

فبعد أن كان العرب هم سادة العالم، بتصرّفاتهم و مواقفهم دارت عليهم الدّائرة،

---

(1)- حواس بري ، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 154 .

(2)- عبد ركيبي ، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار النشر والتوزيع الجزائري ، دون طبعة، السنة 2009 ، ص64.

وعبثت اليهود- وهم قلّة – ويرى الشّاعر أنّ العرب قد شاركوا في تحطيم أنفسهم بأنفسهم، بالجدل العقيم وحبّا الاعتلاء على الكراسي الذي تولد عن الأثر والذّات:

أتْتَشَملنَـــــــــا سفه وَحُمـق فَلَذْنَا بِالتّنَاحر َو الجِـــدَال

تَصدع صفنا حمَى الكَـــرَاسِي فَنَركَع لِلِيَمِين وَ للشِّمَـــــال

وَتُغْرِينا أَنَانِية فَنَغْـــــــــزُوا حُظُوظُ نَجاَحنَا بِالارْتِجَال. [1]

ويظل مفدي يتألّم لواقع الأمّة العربية المزري و لأوضاعها السيّئة ولاسيما قضية فلسطين التي ظلّت توجّه الطّعنات إلى الأمّة العربية من خلالها :

أَوَاه مِنْ كَبد يُمَزِّقُهُا الأَسَى وَتَنُوسهَا مِنْ فِلَسْطِين رِمَاج .[2]

و كذلك إذا أراد أن يصوّر تشرّد الأخوة الفلسطينيين، لما أخرجوا من أرضهم فإنّه لا يجد وسيلة أحسن من التّراث كأداة للتّوصيل، ولذلك تراه يضمّن المعنى القرآني في قوله:

من آدَم طَرَدُوه مِنْ جَنَاته فَتَقَاسَمَتْه مَدَامِع وَجِرَاح.[3]

ونجد أبناء فلسطين، لمّا أبعدوا من أراضهم و حرموا منها، فكان موقف العرب هو التّنديد و حال الأشقاء البكاء و العويل.

يذهب الشّاعر مفدي زكريا إلى أنّ الكلمة الأخيرة لم تصبح للعرب ،ما دامت القضية الفلسطينية لا تزيدها الأيّام إلاّ تعقيدا ،و ما دام المفتاح ليس بيدي أهلها :

وَ قَضِيَة قَدْ غُلِقَت أَبْوَابَها مُنْذُ ضَاعَ مِنْ يَدِ أَهْلِهَا المِفْتَاح

فقد صوّر الشّاعر واقع الأمّة العربية و أعرب عن موقفها الحقيقي من قضية

---

(1)- حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 159.

(2)- المرجع نفسه ص160.

(3)- أحمد دوغان، شخصيات في الأدب الجزائري المعاصر، ص 96.

فلسطينية، و أفصح عن أمرها بأسلوب بليغ تجلّى في اختيار الكلمات(غلقت) هكذا تشديد اللاّم، و قوله (ضاع من يدها المفتاح)، فما هو الموقف الذي يقفه العربي و قد غلقت أبوابه وضاعت منه المفاتيح يا ترى؟.[1]

والشّاعر في - رأينا– ذهب بعيدا واستعصى أمرها إلى هذا الحدّ، ثمّ نحسب أنّ ضياع المفتاح هو رمز للبعد عن الحلّ الإسلامي حيث طرحه من السّاحة و إبعاده عن القضيّة، أمّا الأبواب المغلقة فيقصد الشّاعر من ورائها إلى واقع الأمّة العربية الذي لا تحسد عليه ! ونميل إلى تحليل الرّمز الذي رأيناه ما دمنا نعرف أنّ مفدي ذو اتّجاه إسلامي أصيل [2].

ولمّا كثرت الأوصياء على القضية الفلسطينية أنكر مفدي عليهم ذلك ودعاهم أن يتركوا الكلمة الأخيرة للشّعب الفلسطيني لكونه المسؤول المباشر و الوصي الأوّل على أرضه:

وَخَلّوا فِلَسْطِين تَصْنَـــع قَــرَار فَمَـــــا تَحْتَاجُ في الدُّنْيَا لِوَالي

فَأَهْلُ الـــــدَّارِ أَدْرَى بِالخَبِـــايَا وَأَعْلَـــم بِـــــالحَرَام وَ الحَلَال

وَ أَرْضُ القُدسِ أرَضهُمْ ذَرُوهُمْ وَ أَرْض الُقدْسِ مِنْ قِيلَ وَقَالَ ؟.[3]

وفي قصيدته (فلسطين على الصّليب)التي اختتم فيها ديوانه (اللّهب المقدّس) وجعلها على شكل حوار بين الشّاعر، وفلسطين، والعرب... وفيها يتحدّث عن قضية فلَسْطِين، ولعلّ هذه القصيدة ما زالت امتدادا لما يجري الآن على السّاحة العربية إنّه يقول:

...وَالعَرَب ِفي سَكْـر قَدْ انْحَدَرُوا بِكَ إِلِىَ الهَاوِيَة

(1)- حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 161.

(2)- المرجع نفسهص162.

(3)- مفدي زكريا ، اللهب المقدس ص110.

رَمَاكَ الزَّمَـان، بِكُـلّ لـــئِيـــم زَنِيم، مِنَ الفِئَــة البـــاَغِية . [1]

فتجيب فلسطين الشّاعر قائلة:

أَيَا شَاعِر العَرَب، ذَكّرْتَنِي وَهَجَت جِرَاحَاتِي الدَّامِية.

لَقَدْ كَانَ لِي سَبَب لِلْبَقَـــاء فَقَطَع قَوْمِي أسبَابِيـــــة.

ثمّ يترك الشّاعر المجال للعرب ليقولوا قولتهم:

فِلَسْطِين لَا تَيْأَسِي، إِنَّنـــــِي سَأُصْلِح فِي الشَّـرْق أَخْطَائِيــة

مَصِيرِي آخِـــذَهُ بِيَـــــدِي وَ أَدْعُو إِلَى الثّـــأْرِ إِخْ ـــوَانِيَة

فِلَسْطِين لَا تَجْزَعِي، فَالسمَا سَتسنَد لِلنَّصْـــر إِخْـــلَاصِيَة. [2]

ليعود الشّاعر لنفسه مخاطبا:

فِلَسْطِين فِي أَرْضِنَا بَعَثْنَـــا وَمِنْ أَرْضِنَا تَزْحَفُ الحَامِيَة

وَمِنْ أَرْضِنَا نُقْطَة الانْطِلاَق وَثَوْرَتنَـا...حجـــر الزَّاوِيَة [3].

---

(1)- أحمد دوغان ، شخصيات في الأدب الجزائري المعاصر، ص 94 .

(2)- مفدي زكريا، اللهب المقدّس ص 285 .

(3)- المصدر نفسه ص 94 .

4- الجانب الإسلامي في شعره:

مادام شاعرنا قد تخرّج من هذه البعثة الميزانية وترعرع في أحضانها فإنه والحالة هاته وقد تأثّر بالمنهج الإسلامي الذي تلقاه فيهاو قد انعكس هذا التّأثر في شعره، وتجلّى الموافقة الفكرية، وإنتاجه بصدفة عامة، حيث كان يرى أنّ الحل في الإسلام لكل قضية استعصى حلّها من القضايا العربية وما يعاني منه المسلمون بعامة.

وقد تجلت ثقافة الشاعر الإسلامية من خلال شعره، حيث جاء متضّمنا للقرآن الكريم بلفظه أو بمعناه، ومستشهداً بالحديث الشّريف، والتّاريخ الإسلامي من خلال مواقف أعلامه وأهمية أماكنه التي بقيت معلما من معالم التّاريخ الإسلامي ومواقف رجاله [1].

ولعلّه جرى بنا أن نبدأ بالشاعر بنفسه من خلال ما ورد في شعره لدليل على عقيدته الإسلامية وهو قوله:

شَرِبْت العَقِيدَة حَتّى الثّمَالَة فَأَسْلَمْت وَجْهِي رَبِّ الجَلاَلَ [2]

ولمّا شرب مفدي العقيدة و اتروى من معينها الذي لا ينضب وأسلم وجهه لمن ذلت له الرقاب، فما سننظر منه إلاّ ما يدلّ على تمسّكه بدينه، والافصاح عن دورة أيّام المحنة ولذلك نراه يعز وهذا الانتصار الذي تحقّق على أيدي المجاهدين الجزائريين إلى الإسلام، وقد كان يراه الشّعب الجزائري هو الهدف والرّجاء، حيث كانوا يسعون غلى الرّاحة في ظلاله والاطمئنان إلى شريعته المقدّسة[3] ولذلك أعرب عن ذلك عندما قال:

وَلَوْلَا الوَفَاء لَإِسْلَامنَـــــا لَمَا قَرَّرَ الشَّعْـب يَوْمَا مَالَه

وَلَوْلَا تَحَالف شَعْب وَربّ لَمَا حَقّق الربّ يَوْمَا سُؤَاله[4].

(1)- أبو القسم سعد الله،دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الطبعة الثانية، السنة 1977 ص69.

(2)- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتا ب ،الجزائر ،الطبعة الثانية،السنة 1992ص73.

(3)- حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 206 .

(4)- المصدر نفسه ص73.

و ما دام الدّين يبعث في النّفوس الطمأنينة، ويرسي قواعد العدالة في المجتمع، فإنّ الشّعب إذا أخلف وعد الله الذي ضربه معه وخان عقيدته (فارقب زواله)

هوُالدّين يَغْمُر أَرْوَاحَنَـــا بِنُـور اليَقِين وَ يُرْسِي العَدَالة

إِذَا الشَّعْب أَخْلَف عَهْد الإِلَه وَخَانَ العَقِيدَة فَارَقَب زَوَالَسه [1].

وهذه لفتة أراد الشّاعر أن يسجلها وهو أمام ذلك الجمع الغفير وهو يلقي فيه القصيدة، حتّى يبيّن للنّاس أنّ الإسلام في الجزائر أصل وما سواه دخيل، وهيهات أن يقوى الدّخيل قوة الأصيل الذي شربته النّفوس و طالبت بشريعته العقول التي آمنت بحتمية الحلّ الإسلامي في جميع مناحي الحياة[2]

مادامت الأخلاق هي سرّ نجاح الأمم و الشّعوب فقد دعا إليها الأنبياء، و نبيّنا محمّد صلى الله عليه وسلّم، عدّ أن الأخلاق إحدى عوامل بعثته، هي دليل الطّريق إلى كسب المعالي وتحقيق الانتصارات و قيام الأمم و بناء الحضارات، لذلك حضّ شاعرنا مفدي الشّباب على التّمسك بها يقول :

هِيَ الأَخْلَاق فِي الدُّنْيَا دَلِيل إِلَى دَرْبِ العَلَا يَحْدُو الشّبَابَا

هِيَ الأَخْلاَق مُعْجزة ابرايا عَلَى هَامَاتِهَا تَطأ السّحَـــابَا [3]

ومادام شّاعرنا قد حذر من أصحاب الأفكار الهدامة فإنّه قدم البديل المتمثل في الإسلام:

مَرَاكِز فِي الجَزَائر شَيَّدوُها بِصدرِ الشّعْبِ تَكْتَسِح الرِّحاَبَا

وَمِنْ إِشْرَاقَة الإِسْلَام صُونُوا بِسَاحَتِهَا الرّسَالَة وَالكِتَابَـــــا [4].

(1)- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص75.

(2)- محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ص85.

(3)- حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 208.

(4)-المرجع نفسه ص216.

ومن شعره الذّي يعد من الطّابع الصوفي تلك القصيدة التي ذهب يتوسل فيها إلى الله تعالى بالرّسول صلى الله عليه وسلم وآل البيت والصحابة و الصّالحين من عباده، وفيها أشار إلى أرواد الذّكر التي كان يقترب بها إلى الله تعالى، وفي آخر القصيدة يتجه إلى الله بوجوده رحمته، ويستجير به من ذنوبه التي ارتكبها في حياته[1].

بَسَطْت إِلَى الرّحْمَانِكَفىَ تَوَسّلاَ وَبِالمُصْطَفَى المُخْتَار وَالآلَ وَالصّحب

وَالشَّاذلي المُرْتَضَى وَبِسِـــرّه وَ أَحْزَابه اللاّتِي غَمَرَتْ بِهِا قَلْبِـــــي

إلى أنّ ينتهي بقوله:

وَمَهْمَا تَكن مِنَّا الذَّنوُب عَظيِمَة أَلَمْ تِك يَا رَبِّي... أَجل مِنَ الذُنْـــــب

حَنَانِيك فَارْحم ذَلنَا وَشَقَـــاءَنَا أَطَعْناَ وَصَدَقْنَا بَعْدَلك يَا رَبِّـــــي [2].

أعربت القصيدة أنّ مفدي يؤمن بالتّوسل إلى الله برسوله وآل بيت والصالحين، كما بينت أنّه انتمى إلى جماعة الشاذلية المتصوفة، وقد كان لهؤلاء وردا (البّر و البحر) و يّجعل النّفس تسمو إلى العلا لتتقرب من الله تعالى، وهذا حديث أهل التصوّف، وفي آخر القصيدة دعا الله عزّ وجلّ أنّ يغفر ذنبه ويتوب عليه[3].

والقصيدة في حدّ ذاتها نسجها الشّاعر كما تنسج قصائد المتصوفة وأوردا الذّكر التي تبدأ بالثّناء على الله تعالى وعلى رسوله الكريم ثم الأولياء الصالحين، ثم تذّكر النّفس البشرية بأخطائها وفي الأخير تعود إلى الله راجية منه الصّفح، طالبة منه المغفرة لما اقترفته من ذنوب، وما ارتكبته من معاص.

(1)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 225.

(2)-أنيسة بركات درار، أدب النظام في الجزائر (من سنة 1945 حتى استقلال) ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ص32.

(3)- حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 224.

وإذا أحبّ مفدي فإنّ حبّه صوفي لقوله:

وَإِذَا عَشقْت شَاعِر مُتَصَوِّف مَا صَاغَ ربُّك قَلْبه جَلَمُودا

وَيَرَى الجَمَالَ طَرِيقَا إِلَى معرفة الله تعالى، ودليلا على وجوده:

فتَحَ الجَمَال إِلَى إِلّا لَهُ طَرِيقَة فَتَعَمَّق الإِيمَان وَالتَّوْحِيد [1].

وهكذا فقد كان التّصوف قوة غذت الكثير من الموضوعات ودفعتها إلى الوجود كفن المدائح النبوية، وفن المناجاة الذي يقوم على التعلق بالذّات الإلهية، وأدب الأخلاق [2]ولعلنا من خلال هذه الاطلالة على الجانب في الشّعر نكون قد بينا هذا الفن الشّعر و يعده إضافة في شّعره.[3]

(1)-حواس بري ، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 228.

(2)- أنسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر(من سنة 1945حتى الاستقلال)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون ،طبعة، دون سنة ص31.

(3)- حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 230.

يحمل العمل الفني في طبيعته الكثير من القيم الجمالية، والنقد الأدبي يهتم بالبحث عن تلك القيم الجمالية، وخاصة ذلك النقد المتأثر بالثقافة الفلسفية فهذا النوع من النقد يختلف عن غيره من هذا النقد في إعطاء الأسس والمفاهيم التي يقوم عليها واستهداف الفن، كما هو الحال عند كانط الذي أفسح مكانا للعاطفة في فلسفته" فالحكم الجمالي عند كانط مناقض للحكم العقلي والأخلاقي، فنحن عندما نصدر حكما على عمل فني لا نصدر هذا الحكم بدافع من منفعة، كما لا نهتم في الحكم بحقيقة موضوع العمل الفني نفسه، فهو الحكم صادر عن الذّوق"[1].

والجمال عند كانط هو أيضا" الصورة الغائية لموضوعه، فإذا الكل شيء غاية تدرك أو يظن وجودها فإن غاية الجمال مدركة في موضوعه، ونحن أمام أي عمل جميل نحس بعلاقات جمالية تكفينا عن السؤال عن غايته، حيث أن الجمال في الفن هو جمال الشكل أو الصورة الفنية ويظهر من خلال التناسب والانسجام بين مكوناته الفنية المختلفة [2]

وما نظن أن هناك اليوم من النّقاد المحدثين من يجادل في أن الجمال ليس محصورا في الزخرفة أو الاستعارة ،ومن البديهي أن يخلو من الشعر من الصورة البيانية و يحقق قيمة الجمال في التعبير الفني، بل أن من الشعر مالا يعدو مجرد التعبير عن حالة نفسية تعبيرا بالغ التأثير وقوي الإيحاء.

ولقد ورد في معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب عن علم الجمال ما نصه:" علم الجمال لفلسفة الجمال". دراسة طبيعة الشعور بالجمال و العناصر المكونة له كامنة في العمل الفني[3].

---

(1)- محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم و الحديث، دار المعرفة الجامعية، دون طبعة ، دون سنة ص 65.

(2)- المرجع نفسه ص65..

(3)- مجدي وهيبة، كامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب، لبنان ، الطبعة الثانية، السنة 1984ص25.

ولقد تحدث العرب في بحوثهم ودراساتهم الفنية عن الجمال فابن رشد(ت 595هـ) مثلا اهتم بإبراز التناسب كقيمة جمالية محاولا تحديد ملامحه وحدوده رغم أنه لم يهتم بالجمال من حيث غايته، ولم يربطه بوظيفة الفن، فهو يقول:" وأما الموازنة في أجزاء القول فهي على أنحاء أربعة، أحدها أن يأتي بشيء يشبهه مثل الشمس، والقمر أو يأتي بالأضداد مثل الليل والنهار، أو يأتي بالشيء وما يستعمل فيها مثل القوس، السهم، الفرس، واللجام، بالأشياء المناسبة مثل الملك والاله، وهذه المناسبة إنما تأخذ من أربعة أشياء، من هذا الباب الكميت" تكامل فيها الذل والشنب لأن الذّل غير شيبه بالشنب ومن هذا قال بعضهم في قول امرئ القيس[1].

كَأَنِّي لَم أَرْكَبْ جَوَادَالـــــلذّة وَلَمْ أَتَبَطّنْ كَاعِبًا ذَاتَ خَلْخَال

وَلَمْ أَسْبَأْ الزّق الرَّوِيُ وَلَمْ أَقُلْلِ خَيْلِي تَرَى كُرَة بَعْد إِجْفَـــال

أمّا ابن سينا(428هـ) يذكر أمر آخر من جوانب الاتجاه الاجمالي عند العرب مقارنا بينه وبين الجمال عند اليونانيون، فهو يقول "...فإن العرب كانت تقول الشعر لوجهين... أحدهما ليؤثر في النّفس أمر من الأمور بعينه نحو فعل و انفعال، والثاني للتعجب فكأن يشبه كل شيء ليعجب بحس التشبيه، أمّا اليونانيون فكانوا يقصدون أن يحثوا بالقول على العقل أو يردعوا بالقول عن الفعل"[2].

و معنى ذلك أنّ الموقف الجمالي عند العرب في تفكيرهم الفلسفي تميّز في أنّه قد يساير التفكير اليوناني ،حيث أنّ العرب كذلك اقتفوا آثار الغربيين ،فنهجوا طريقة المذاهب الفلسفية الغربية ،ويتفرّع من فلسفة الجمال عند الغربيين، مذهبان رئيسيان ،الأوّل مذهب الجمال قائما في نفس الإنسان المدرك وفي تعبيره الفنّي الرائع ،والثّاني يعتبر الجمال قائما على الأشياء نفسها ،الخارجة عن نفس الإنسان ،فالأوّل هو الجمال المعنوي أو الشّعور الفني الذي يبحث عن الخير و الحق و المعرفة ويصل بصاحبه إلى الكمال، والثاني يبحث عن اشراقة الفكرة الروحية.

(1)- محمد زكي ،العشماوي ،قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ص 64، ص65.

(2)- المرجع نفسه ص65.

ثمّ توضّح ثريا عبد الفتاح أيضا طبيعة الجمال في الإنسان قائلة:" فالجمال ذاتي موضوعي و هو هزات و انفعالات تحرك مشاعر الإنسان الحساس..." فثريا عبد الفتاح بحديثها هذا عن طبيعة الجمال، حيث أشارت إلى خاصية مهمة عندما ذكرت "هزّات"

فإنها أشارت بذلك إلى الأصوات ودورها في عملية التأثير في النّفس، و أيضا عن ماهية الجمال قائلة :و الجمال قوة الاستمرار و التجديد، فلو سئل مصطفى صادق الرّافعي عن تسمية لعلم الجمال لقال :"علم تجديد النّفس ،فإذا الجمال الذي لا يحدّده بمعانيه في حواسك و عواطفك ،و يعيدها غضة طرية ،كما من قبل ،لا تسمى جميلا" [1].

حيث أفلاطون في وصف جمال الشعر و سمو الإحساس و نبل الخصال إنّ الطريقة المثلى التي ينبغي أن تدرس بها علم الجمال، "و الجمال هو أساس الوجود وسرُّ الكون"، ويمكن فهمه عن طريق النّظر و السّمع[2].

من خلال هذا التعريف للجمال يحضرني القول الدّيني" إِنَّ الله جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ" فالجمال صفة من صفات الخالق[3].

---

(1)- مجدي وهبة،معجم المصطلحات العربية في اللغة و الأدب ص 25.

(2)- انصاف الريفي ،علم الجمال ،دار الفكر ناشرون و موزّعون ، الطبعة الثانية،السنة2007 ص227

(3)- انصاف عبد المنجد ،علم الجمال ،الطبعة الثانية، دون السنةص 02.

1- الالتزام:

الالتزام شيء ضروري حتمته ظروف الحياة القاسية، حيث أنه برز بشكل قوي وفرض نفسه كعنصر وعامل مهم وفعال، كما جعل الكاتب والمفكرين على اختلاف اتجاهاتهم الفكرية والعقائدية.

كما قال مفدي زكريا عن الالتزام بقوله:" لا يوجد كلمة التزام في قاموس العقلاء بل هناك التعبير عن العقيدة في صدق وإخلاص، وهناك الحرية المطلقة التي تخضع للقيود، فالأديب إما ان يكون مؤمنا بمضمون ما يقول فلا محل لكلمة (التزام) أو نكون غير مؤمنين بما تقول، وهذا نستبدل كلمة التزام بكلمة (نفاق) والذي ينافق نفسه لا يمكن أن لا ينافق المجتمع ولا ينافق الذين أرادوا منه أن يقول ويكتب حسب الطلب " [1].

فهم مفدي أن الالتزام هو الإيمان بالمبدأ وإن كان كما في النص، قد أخلط بين الالتزام والالزام واعتبرهما شيئا واحدا، لكن الفرق بينهما شاسع جدًا، إذ الالتزام هو الدفاع عن الفكرة من باب الإيمان بها، أما فيما يخص الالزام فتنعدم فيه الحرية ويصبح الدفاع عن الفكرة بالترغيب أو بالترهيب، والالتزام قد يأتي عن أدب ثوري أو غير ثوري، فالقضية موقف أخلاقي إنساني[2].

وعند تصفحنا لشعر مفدي زكريا، نجده ملتزما التزاما شديدا بالقافية المطردة ولاسيما في إنتاجه الشعري في العشرينيات والثلاثينيات ولم يخرج على هذا النظام إلا في الأناشيد التي نظمها تطورا منه بأن القصيدة التي تكتب للتغني والإنشاد يجب أن تكتب بطريقة تلائم التلحين الموسيقي و يداعب فيها التّنغيم بين مقاطعها.

---

(1)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دون طبعة ، السنة 1994.ص242-243.

(2)- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون طبعة، السنة 1983.ص17

وَاَقْرَأ كِتَابَك للأَنَامِ مُفصَـــــــلا تَقْرَأ بِه الدُنْيَا الحَدِيث الأَرْوَعَـا !

وَاصْدَع بِثَوْرَتِك الزَّمَان وَ أَهْلَه وَاقْرَع بِدَوْلَتِكَ الوَرَى وَالمَجمعَا.

وَاعْقُد لَحِقَك فِي المَلَاحِمِ نَـدْوَة يَقِفُ السَّلَاحُ بِهَا خَطِيباً مُصَقَّعَا ![1]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات أنّ الشاعر اعتمد في حثّه شعبه على الكلمات القوية (كالمدفع، الحديث، الأروع .....)، إضافة إلى اعتماده على صيغة فعل الأمر في جميع الأبيات مثل: اقرأ، اعقد، اذكر.....، واختياره لحرف العين رويا لقصيدته، شاهدا على أنّ الشّاعر يعتمد على الألفاظ القوية، وحرف الروي أي العين أعوز حرف من حيث المخرج وأشد أثرا من حيث الوقع والتأثير وهذا الاختيار قد وُفّق فيه الشّاعر مادام الموقف يقتضي القوّة، والحالة أنه اختار لقصيدته ما يناسبها من كلمات قوية وما يصلح لها رويا [2].

واللّهب المقدس ديوان مشحون بمثل هذه النّبرة الخطابية التي تعتمد على الكلمة المؤثّرة بذاتها، وهذا الديوان كما قال عنه مفدي "ديوان الثّورة الجزائرية" بواقعها الصريح وبطولاتها الأسطورية، وأحداثها الصارخة، وهو شاشة تليفزيون تبرر إرادة شعب له استجاب له القدر... .

ومفدي زكريا كان حريصا على تسجيل كلّ خطوة تخطوها فرنسا وهي تبعث بمصير أمّة ومن ذلك احتفال بالذكرى السنوية لاحتلال الجزائر، وقد استاء الشّعب الجزائري لهذه المهزلة واستشاط زعماء الأحزاب غضبا،وهنا ظهر جمعية العلماء كرد فعل قاطع لهذا السلوك الجارح لكرامة الشعب الجزائري:

جَزْيُ للهِ عَنَا الشّدَائِدَ خَيْـــــرَا وَذِكْـرَى احْتِلَالِ الجَزَائر حَمْرَا

وَإِنْ نَنْسَ هَلَا نَسِينَا الجِـــرَاحَ وَمَا تَـــــزَالُ الجِرَاحَات حَمْرَا

وَإِنْ آلَمُونَا بِمَائَـــــة عَـــــامٍ حَفِلْنَا بَعِيدِ الجَزَائِـــر دَهْـــــرَا

(1)- مفدي زكريا، اللهب المقدس، دار النشر الجزائر، دون طبعة ،السنة 2007 ص51.
(2)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دون طبعة ،السنة 1994ص245.

رَقَصْنَا عَلَى نَغَمَات الرّصَاصِ وَرُحْنَا نَبُثّ المَقَادِيـــرَ سِـــــرّا[1]

وهكذا ظلّ الشّعب الجزائري يردّ بقوة ويخيّر ما يملك من أرواح و أكبار ليردّ على العدو الغاشم من حيث أتى حتى تبقى الجزائر لأبنائها

وما الرسالة التي بعث بها لابنه(صلاح الدّين) من السّجن يحثّه فيها على الالتحاق بالثورة إلاّ دليل على تفانيه في حب الجزائر وجاء فيها:

أي بني ...هكذا يفعل أبناء الجزائر

هَكَذَا يَفْعَل أَبْنَـــاء الجَزَائِـــــر يَا صَلاَح الدِّين فِي أَرْض الجَزَائِر

سِرْ إِلَى المَيْدَان، مَأْمُون الخَطَى وَتَطَوَّع،فِي صُفُوفِ الجَيْش،ثَائِر

أَنْتَ جُنْدِي ،بِسَاحَات الفِـــــدَا وأَنَا، فِي ثَوْرَةِ التَّحْرِيرِ، شَاعِـــرَ

زَغْرِدِيبَا أُمَّهُ وَافْتَخِـــــــرِي فَابْنُك الشَّهَـــم فِدَائِـــي مُغَـــامِر

كُنْ شَوَاظًا، وَتَنَزَّل كَالَقضَـــــآ وَتَفَجّر، فَوْقَ هَامَـــات الجَبَـــائِر

صَلَوَاتِي لَك، وَالله مَعَـــــــك سَوْف أَلْقَاك بِأَعْيَـــادِ البَشَائِـــر

فَإِذَا مَا عِشْت، حَقَّقْت الرِّجَـــا وَ إِذَا مِتُّ فَلَتَحْيَـــا الجَزَائِـــرَا

هَكَـــذَا يَفْعَلُ أَبْنَاءَ الجَزَائِر [2].

علّق الدّكتور أحمد أبو حاقة على هذه الأبيات بقوله "في هذه الرّسالة يتجلّى التزام مفدي زكريا على حقيقته ،و يبدو لنا متناميا متطورا يتبع السّهم الذي يعيّن اتجاهه الوطني و القومي

(1) مفدي زكريا ،إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر،دون طبعة، السنة2006ص61.

(2)- مفدي زكريا، اللهب المقدس،ص51.

حتّى يبلغ غايته في إلقاء ابنه ،وهو في الدّنيا و أعزّ ما لديه في الوجود في خضم الثّورة التي يخوضها أبناء بلاده دفاعا عن كرامتهم و تمسّكا بعروبتهم و نشدا لحريتهم و استقلالهم و محافظة على أرضهم وأوطانهم و حقوقهم الإنسانية و القومية" ،والحقّ أن مفدي شاعر الثورة الجزائرية بدون منازع[1].

الشاعر لم يلتفت إلى الجانب الفنّي في القصائد الثورية و الإنسانية خاصة، السبب في ذلك أنه كان مهتما بهز النّفوس وبعث الروح الثورية فيها حتى تهب إلى ساحة الجهاد، وقد صرح بذلك في مقدمة ديوان اللهب المقدّس، "لم أعن في اللهب المقدّس بالفن و الصيانة عنايتي بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشه من عروق قلبي غمستها في جراحاته المطولة"[2].

لذلك وجدناه يركز في ديوان الثورة خاصة على الجلال أكثر من اهتمامه بالجمال، ونستشهد لذلك بقوله:

دَعَا التّارِيخَ لَيْلَكَ فَاسْتَجَابَـــا (نُوفَمْبَرَ!)هَلْ وَقَيْتَ لَنَا الخِطَابَا.

تَبَارَكَ لَيْلَكَ المَيْمُون نَجْمَـــــا وَجَلَّ جَلَالُه هَتْكَ الحِـــــجَابَا [3].

لم يقف مفدي زكريا موقفا سلبيا بسبب التزامه بالدفاع عن الثورة الجزائرية وإنّما كان فاعلا ومنفعلا، ولهذا وجدناه هو المبشّر بها ثم المحفز عنها، والمضحي من أجلها، هذا من مستوى التزامه الموضوعي، أمّا من جانب التزامه الفنّي فإنّه كان يخفق في هذه القصيدة وينجح في الأخرى، أمّا اخفاقه فمردّه إلى اهتمامه الشّديد بقضيته الوطنية، إلاّ أن هذا لم يمنعه من أنّ ينظم القصائد التي جمعته بين الرّيادة و المواكبة، أي أن الريادة في الفن والمواكبة للثورة.

(1)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 249.

(2)- المرجع نفسه ص253.

(3)- مفدي زكريا، اللهب المقدس ص33.

3- التجديد في الأغراض التقليدية:

❖ **فن الغزل:**

إنّ تغزّل شعراء الجزائر بما فيهم مفدي شاعر مناضل وسياسي و متغزل، وقد تكون هذه الازدواجية بين التعبير العربي و المضمون السّياسي تنفّسا عن الذاتية المكبوتة والقومية المضطهدة في آن واحد.

وقد ذهب بعض النّقاد الواقعين إلى أنّ الأديب الملتزم يجب أن يعرف بعض الفنون الشّعرية التي عرفها الأديب العربي القديم، منها فن الغزل، حتّى أن ناقدا جزائريا قال: (....ويقينا أن قصيدا في الزّهور وجمالها وقطرات النّدى المتلألئة تحت خيوط الغزالة الذّهبية أو الفضية لا يهم أحد ولا يكن له أي صدى في أي نفس)، طبعا لهذا والحرب لم تضع أوزارها في ربوع الجزائر بعد[1].

لذلك إذا غدت (ليلى) رمز للمحبوبة عند الكثير من الشعراء العرب منذ أن توله بها المجنون عشقا فإن ليلى زكريا هي الجزائر، حيث سيق كل الشعراء الجزائريّين إلى هذا الاستخدام الموحي كما تدل على ذلك القصيدة التي نشرها وكان يتجاوز عمره ثماني عشر سنة، منها قوله:

الحُبُّ أَرَقَنِي وَاليَــأْس أَضْنَانِــي وَالبَيْن ضَاعَفَ آلَامِي وَأَحْزَانِـــي.

وَالرُّوح فِي حُبِّ لَيْلَى اسْتَحَالَ إِلَى دَمْعٍ فَأَمْطَرَهُ شِعْــرِي وَوِجْدَانِـــي.

رِفْقًا بِلَادِي فَأَنْتَ الكَــوْنَ أَجْمَعــهُ لَوْلَاكَ مَاكُنْتَ بِـلاَدِي هَالِـكاً فَـإِنِّـي ؟.

لَكَ الرِّقَابُ مَا فِي الكَــوْن مِنْ نَفَسٍ ذُيُ عُيُـونَ الوَفَــاءِ فَــأَعْيُن إِنْسَــان؟ [2]

---

(1)- عبد المالك مرتاض، نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للكتاب و التوزيع الطبعة الثانية ،دون سنة ص61.

(2)- حواس بري ، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص259.

وحبّ ليلى عند مفدي زكريا ارتباط بمهرها الغالي الذي هو الفؤاد، والروح، الدم، الجثمان، العيون، الوفاء، وفي هذه دلالة قوية على أنّ الغزل عند الشاعر صار اتّجاها سياسيا في كل القصائد النّضالية، أصبح مبدأ لا يحيد عنه في منحاه الشّعري [1].

كذلك رمز الشّاعر مفدي زكريا إلى حبيبته الجزائر ب(سلوى).

سَلْوَى حَدِيثَكِ يَا سَلْوَى ،ُيبَاغِمُنِـــي وَالطَرق يَخْتَان لَا يَدْرِي بِهِ الحَدَق.

سَلْوَى أُنَادِيكِ سَلْوَى هَلْ تُجَاوِبُنِـــي سَلْوَى؟ فَإِنَّ لِسَانِي بَاسِمَهَا ذَلَق [2].

فن الغزل لم يكن ذاتيا بل يخاطب مفدي زكريا من خلاله المحبوبة ويطلب عطفها، وإنّما عرفنا أنّ الغزل عنده هو رمز مواز للثورة الجزائرية، وللجزائر التي أحبّها بوجه عام، كما يشيد غلى الثورة بقوله:

نَادَى المُنَادَي إِلىَ التَّحْرِيرِ يَدْفَعُهَـــا فَاسْتَصْرَخَت مِنْ قُيُودِ الحَجَرِ تَنْعَتـِق.

ثَارَتْ عَلىَ الظُّلْمِ مِثْلَ السّيْل جَارِفَة فَـــلَاالفَيَـــالِق تَثْبِيـــهَا وَلاَ الفِـرق.

هذه هي الجزائر وهذه هي سلوى التي تغزّل بها مفدي كلّما تغزل [3].

---

(1) - حواس بري ، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 261.
(2) - المرجع نفسه ص 263.
(3) –مفدي زكريا، أمجادنا تتكلم، مؤسسة مفدي زكريا للكتاب الجزائر ، دون طبعة، السنة 2003 ص150.

3-الموسيقى الشعرية:

أ-الموسيقى الخارجية:

الموسيقى عنصر من العناصر المهمّة التي تبعث الرّاحة و إزالة الملل والرّتابة في حياة الإنسان، لذلك اهتم بها منذ زمن بعيد، " وهي مجموعة من الأصوات التي يتألف من ضرباتها الموقعة نغم يلمس الشّاعر من إيقاعه لحن يهزّ أوتار القلوب" [1].

❖ **الوزن:**

لا تزال القصيدة العربية تحافظ على تراث الأمة العربية العظيم وتنقّله عن طريق المشافهة و الرواية فإنّ الفضل في وصوله و خلوده يعود إلى الموسيقى، ومن ثمّ فإذا اهتم النّقاد القدامى بهذا العنصر فهم محقون ولأهميته قالوا: "الشّعر هو كل كلام موزون مقفى "،في هذا التعريف يدلّ على أهمية الوزن بالنّسبة للشّعر بوجه عام.[2]

و قد بقي لهذا التّعريف صداه عند بعض الشعراء المعاصرين حتى حسبوا أنّ عنصر الموسيقى من العناصر المساعدة على خلود الشعر، فقد قال مفدي زكريا: " وإذا ما خلا الشعر من الموسيقى المتجاوبة مع دقات القلب فقد خلا من عنصر الخلود، " فالموسيقى إذا ليست هي بحور الشّعر فحسب، وإنّما يشترط إلى جانبها الانفعال وصدق التجربة، كما اهتم النقاد القدامى بالوزن وأولوا جانبا كبير من الاهتمام بالقافية[3].

إنّ مفدي زكريا في شعره اتّكأ على البحور التّراثية، ونسج عليها قصائده، وعد الالتزام ببحور الخليل لا يقل أهمية عن التزامه بمبادئه الدّينية وقيمه الوطنية والقومية، ولم يخرج عن هذا النّظام إلاّ في الأناشيد التي نظمها تصوّرا منه.

ورغم إيمانه الشّديد بالمحافظة على العروض الخليل، ورفضه القاطع للشعر الحر، نجد مفدي زكريا تحت تأثير موجات التجديد الرومانسية والحرة ينظم بعض القصائد التي لم

(1)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص 276.

(2)- سعيد الورقي ، لعة الشعر العربي الحر مقوماتها الفنية و طاقتها الإبداعية، دار النهضة بيروت ص277.

(3)- المرجع نفسه ص285.

يلتزم فيها بنظام القصيدة التّقليدية، وقد قصد إلى تجديد موسيقاها قصدا، كما يشير إلى ذلك في ديباجتها حيث يقول عن أوّل تجربة له من هذا النّوع في سنة (1959) "إنّها عيّنة من مذهبه الرصين في الشعر الجديد"[1]

وكما علّق على تجربة أخرى له في سنة(1961)"بأنها عينة من نوع الشعري الجديد الذي يؤمن به الشاعر لتناسق تفاعليه ومحافظته على الإيقاع الموسيقي".

وفي هذه التّجارب التي يقول عنها بأنّها من الشّعر الجديد نراه لا يخرج عن دائرة التّجارب المعروفة عند المهاجريين وجماعة أبولو، لأنّه يحافظ فيها على الإيقاع بين تفعيلاتها وأبياتها ويلتزم بإحداث نوع من التّقابل الموسيقي بين مقاطعها

ومن تجاربه تلك هذا في النموذج:

فِي الحَنَايَا وَسَوَادُ اللّيْلِ القَــاتِمُ مَلَكُ الأَكْـــوَان سَكْـــــرَ ثَمُلَات [2].

فإذا قطّعنا القصيدة وهي من بحر الرمل الذي تفعيلاته هكذا :

فاعلاتن، فاعلاتن، فاعلاتن فاعلاتن، فاعلاتن، فاعلاتن.

نجد تصرف التفعيلات على النّحو التالي:

فاعلاتن، فعلاتن، فاعلاتن فاعلاتن،فاعلاتن فعــلاتن [3].

(1)- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية(1925-1975)، دار الغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، السنة 1985 ص 211.
(2)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص212.
(3)- المرجع نفسه ص213.

إنّ أمثال هذه المحاولات نادرة في شعر مفدي زكريا الذي التزم في كل ما كتبه نظاما عموديا صارما، على الرغم من إنّ المقطوعة السابقة تشي بعلاقة الشاعر الواضحة بالشعر الرومانسي، لغة وموسيقى[1] .

❖ **القافية :**

القافية في اللّغة هي مؤخر الفتق، وفي إصلاح العرضيين "هي البيت الأخفش، وعرفها الخليل، بأنها آخر ساكن في البيت إلى أقرب ساكن يليه مع المتحرك الذي قبله"، وأولاها النقاد قسطا كبيرا في دراستهم، قال ابن جني" ألا ترى أنّ العناية في الشعر إنّما هي بالقوافي، لأنها المقاطع، وفي السجع ،كمثل ذلك نغم، وآخر السجعة والقافية أشرف عندهم من أولها، والعناية بها أمس والحشد عليها أوفى وأهم، وكذلك كلما تطرف الحرف في القافية ازداد عناية به ومحافظة على حكمه[2].

وعندما استقصينا شعر مفدي زكريا تبيّن لنا أن الشاعر كان يلتجئ إلى التّنويع في قوافي القصيدة الواحدة، وهذا التنويع مرتبط بالحدث والمناسبة، ومن ذلك قصيدته التي نظمها عندما فجرت فرنسا القنبلة الذرية في الصحراء الجزائرية سنة 1956م، فقد وجدناه في هذه القصيدة. ينوّع في القافية و الروي، وفي مطلع القصيدة قال عن الأطفال الأبرياء الذين شوّهتهم القنبلة الذرية متسائلا:

مَا لَهُ فِي الحَيَاة، يُولَد أَعْمَـــــــى؟ لَمْ تَرَ الكَوْنَ، بَاسِمًا مُقْلَتَــاُه ؟

مَا لَهُ مَقْعَدَا، يُـــــدَحْرِجُ رِجْلَيْـِه؟ وَمَـــاذَا جَنَى، فَشّلَتْ يَــدَاه؟[3].

جاءت هذه الأبيات حافلة بحرف الهاء وهو حرف من الحروف الجوفية يخرج دون عناء وعليه بنى الشاعر القصيدة، والقافية في هذه الأبيات انسيابية

أمّا فيما يخص هذا المقطع فجاءت القافية مسبوقة بحرف تأسيس، وموصول بالألف.

وهي قافية مطلقة رويها حرف الراء:

---

(1)- محمد ناصر الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته و خصائصه الفنية ص 213.

(2)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 276.

(3)- مفدي زكريا، اللهب المقدس ص13.

شَبحُ كَـــــالخَيَالِ لَمْ يـَــك بِالحِـ سِـيء، فَيَرْجِي وَلَمْ يَمُتْ فَيَوَارَى

عَـــــاشَ حَـــيْرَان، وَفِي بُؤْسٍ بَيْنَ قَـــــوْم، مَـــعَذّبِين حَيَارَى

ظَلّ يَسْعَى، إِلَى الفَنَاءِ رُوَيْـدَا بَائِسَا، لَا يُغَـــالِب الأَقْـــــدَار

طَحَنَ الدّاء جِسْمَه، وَأَحَالَ السَّقَم ذِرَاتـــــــه هَبَـاء، فِـــــطَارَا[1].

والشاعر حتم قصيدته بمقطوعة مقيّدة القافية

شَعْبُ افْرِيقْيَا، أَحَاطَ بِه المَكْـــــ رُ فَأَمْسَى للمُجْرِمِينَ ، ضَحِيَة

وَرَمَتْهُ عَبْرَالقُرُون، فِـــرَنْسَا طَعْمَة للقَنَـــــابِلِ الـــذُّرِيـــة[2].

والنقاد القدامى كانوا يعدون القافية الملتزمة في القصيدة، والمتحدة في الروي إحدى خصائص الشّعر العربي وأحد أسباب خلوده، فإنّ النقاد المحدثين ذهبوا خلافا لذلك، حيث عدوا أن التزام الشعر العربي قافية واحدة مكررة في القصيدة يفقده شيئا من جمال تكسبه القصيدة التي تنوعت قوافيها [3]. ..والجمال الزخرفين المكوّن من تكرار الوحدات أقّل جمالا من الطبيعة المنوعة المحتوى.

من خلال هذه النّماذج وجدنا مفدي زكريا ينوّع في القوافي بين الحين والآخر لأنه كان يكره الرتابة التي يجدها في القصيدة الموحدة القافية، وإن التزم بحر واحد في القصيدة، وما نقف عنده في الملحمة التي نظمها بمناسبة انعقاد مؤتمر القمة بالرباط.

معنى هذا أن القافية " ليست هي التي تشير إلى نهاية البيت، ولكن نهاية البيت هو الذي يشير إليها، وهي وحدها ليست قادرة على أن تلخص البيت، بل لا تلحظ أنها قافية إلا إذا وقع عليها النّبر"، والشاعر كان يستخدم التنويع في قوافيه بما يناسب ويخدم الفكرة أو الصورة التي يعالجها المقطع، فتعنق الموسيقى حينًا، وتهمس حينًا آخر لأن الفكرة تتطلب ذلك النوع من الموسيقى[4].

---

(1)ا- مفدي زكريا ، اللهب المقدس ص141.

(2)- محمد علي مقلد، الشعر و الصراع الإيديولوجي ، دار الأبد لبنان ، الطبعة الأولى ، السنة 1996 ص97.

(3)- السعد الورقي، لغة الشعر العربي الحديث ،دون طبعة ، دون سنة ،ص 97.

-4)- عبد الجليل عبد القادر، هندسة المقاطع الصوتية و موسيقى الشعر العربي، دار الصفاء، للنّشر و التّوزيع ،عمان ، الطبعة الأولى ،السنة 1998ص63.(بتصرف).

ب- **الموسيقى الداخلية:**

إذا كانت الموسيقى الخارجية تعكس شخصية الشاعر في التجديد أو تقليد ما سار عليه غير من الشعراء القدماء، فإن الموسيقى الداخلية تعكس شخصية الشاعر داخل عمله الفني.

وحدّ الموسيقى الداخلية "فهي هذا الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من هذا التوافق الموسيقي بين الكلمات ودلالتها حينا أو بين الكلمات بعضها و البعض حينا آخر الانسجام الذي يحققه الأسلوب الشعري من خلال النظم"... [1].

تظل الموسيقى الداخلية تؤدي دورها بمعية الصياغة اللفظية عن طريق الكلمات المعبرة والألفاظ الموحية، ومن هذا يتبيّن لنا أن" ليس الايقاع مجرد تلاعب بالمقاطع، وإنما يعكس الشخصية بطريقة مباشرة ولا يمكن فصله عن الألفاظ التي تكونه والنغم المؤثر في الشعر لا يصدر إلا عن دوافع قد انفعلت انفعالا صادقا ولهذا فهو أدق دليل على نظام النزعات"[2].

إذن ليست الموسيقى الداخلية وليدة الألفاظ المتراصة وإنّما هي نتيجة حالة نفسية تكنف الشاعر من خلال تجربة أو موقف اهتدى فيه الشّاعر، وقد وفّق مفدي زكريا في اختيار الكلمات التي توفّر فيها الانسجام الصوتي الذي تدركه من مطابقة الإحساس الذي يخلّفه وقع الأحرف الصامتة المختلفة، ففي القصيدة التي نظمها بمناسبة تفجير فرنسا للقنبلة الذّرية في الصّحراء الجزائرية، فإننا نجد الموسيقى الدّاخلية أيضا هي التي تشخّص الموقف النفسي للشّاعر :

مَا دَهَاهُ؟ وَيْل أَمّهِ مَا دَهَـاه وَيْلَتَاهُ، مِنْ جَبَلِهِ وَيْلَتَـــــاه؟

مَالَهُ فِي الحَيَاة، يُولَدُ أَعْمَى لَمْ تَرَ الكَوْنَ بَاسِمًا مُقْلَتَاهُ؟ [3].

(1) - حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 288.

(2)- المرجع نفسه ص291 .

نلاحظ البطء الموسيقي عند قراءتها لهذه الأبيات، والذي يفرض على قارئها " أن يتمهّل في قراءة كلماتها تمهّلا شديدا يكاد يقف عند كل كلمة بل عند كل حرف من حروفها و حركة من حركاتها كما يفرض عليه أن يعلو ويهبط مع أصواتها وكأنّه يتذوّقها تذوّقا" [1]

والهاء قد وردت في معظم أبيات القصيدة ناهيك أنّها روي للأبيات

وصوت الهاء مادام "وهو صوتا حلقيا يبعث على التّأوّه كما هو واضح في الأبيات من ذلك يتأكدّ لنّا أن الكلمة في الدقيقة الوضعية هي صوت النفس، لأنها تلبس قطعة من المعنى فيختص به على وجه المناسبة قد لحظته النفس فيها من أصل الوضع حين فصلت الكلمة على هذا التركيب.[2]

والشاعر انتبه إلى هذا، لما اختار الكلمات التي تبعث على التأوّه وتعرب عن وقع المصاب، ذكر صفحا من الذكر عن الألفاظ التي لا تليق بمثل هذا الموقف الذي يتطلّب الشعر المهموس، ويقول:

شَبَحٌ كَالخَيـَالِ لَمْ يَـكِ بِالحُـــــبّ فَيَرْجِـي وَلَـمْ يَمُـتْ فَيَــوَارَى

عَاَش الحَيْرَان فِي عَذَاب وَبُـؤْس بَيْـنَ قَـوْم مُعَذّبِيـــنَ حَيـَــارَى. [3]

أطال الشاعر في أصوات اللين ليلائم بين الموسيقى والمعنى، أو بين الأصوات والكلمات ملائمة تساعده على توفير هذا الجو الموسيقي الذي يشارك في توصيل المعنى لأن العنصر الموسيقى له علاقة بالإيحاء والتصوير والشعر في استعانته بالموسيقى الكلام إنّما يستعين بأقوى الطرق الايجابية لأن الموسيقى طريق للسمو بالأرواح والتعبير عمّا يعجز التّعبير عنه.

---

(1) –حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 140.

(2)- عبد الركيبي قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، دار العربية للكتاب تونس، الطبعة الثالثة السنة1977ص293.

(3)- مفدي زكريا ، اللهب المقدس ص139.

والموسيقى الداخلية هي الميزة التي نستطيع من خلالها التّعرف على صدق الشاعر العاطفي، وتعليل ذلك إنّما أنّها تنتج من تفاعل الشاعر النّفسي الفيزيولوجي معا، إذ ترتبط بدقات القلب وسرعتها وهذه تزيد كثيرا مع الانفعالات النّفسية التي يتعرض لها الشاعر أثناء نظمه، فحالة الشاعر في الفرح غيرها في الحزن واليأس، فتكون نبضات قلبه كثيرة وسريعة في الدقيقة حين يتملكه السّرور، ولكنها بطيئة حين يستولى عليه الهم والجزع، فتتغير نغمة الإنشاد تباعا للحالة النّفسية[1].

إنّ عناية مفدي بموسيقى شعره جعلته يعني بلغته، فجاءت سلسلة سهلة ناصعة مع جزالة و فخامة تثير بدوي كلماته المشحونة بالنّفس الحماسي ونبر تركيبها الصارخ الصّاخب إيقاعا رنانا يلحم بين التجربة و التّعبير .....إيحاء صوت الكلمات وتكرار حرف معين فيها المعنى على حد ما يكشف عنه تتابع حرف السّين ومعه حرف الصّاد في هذين البيتين من صفير معبر عن تصويت السّلاح وتفشّي الموت:

وَسَارَت سَرَايَانَا لِجَوْلَان تَّلْتَقِي بِجَوْلَان عِزْرَائِيل فِي لَيْلَة الأَسْــرَا.

وَتسْبق إِسْرَافِيل بِنَفخِ صُــورِه فَتَصْعِق فِي سِينَا لِرَجفتِهِ الصّحْرَاء [2].

التكرار مثل هذا بنصب على كلمات بعينها، كما في لفظ "الجولان" في مثال السابق، وهو كثير عند الشاعر وقد يتخذ في بعض الحالات شكل تلوينات بديعية كالجناس والسّجع و الطباق، فمثلا الجناس يقول الشاعر:

أَلَيْسَ مِنَ الخَوَارِقِ أَنْ نَـــرَاه يُلاَقِي النُبْل لَا يَلْقَاه نُبْـــــلَ

وَمَنْ وَهَب العِنَايَة لَا يُبَالِـــــي أَيَخْشَى النُّبل مِنْ يَغْشَاه نُبْل [3].

ولعّل بهذا يمكن القول أنّ الشاعر قد نجح في جمعه بين الموسيقى الخارجية المتمثلة في الاطار الموسيقي، والداخلية التي تكشف عنها الأساليب الإنشائية في أعماله الشعرية[4].

(1)- حواس بري، شعر مفدي زكريا، دراسة وتقويم ص 298.

(2)- المرجع نفسه ص299.

(3)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 300، (بتصرف).

(4)- مفدي زكريا ، اللهب المقدس ص141.

4-الصورة الشعرية:

الصورة الشعرية من مميزات الشّعر وخصائصه، وهي إحدى الدّعائم الأساسية التي يعرف بها الشعر بعد الإيقاع، ولأهميتها في العمل الشّعري جعلها النّقاد والدارسون محط عنايتهم، سواء في ذلك القدماء والمحدثون، إنّها في أشدّ مفاهيمها سذاجة تعني مشهدا، أو لوحة تتكون من كلمة، حيث أن النّمط البصري هو الشائع في الصورة [1].

إنّ النّقد الحديث عدّ الصّورة الشّعرية من أهم العناصر التي تميّز أصالة العمل الأدبي وتقر به أكثر من عالم الفنون الجميلة، وقالوا النّقاد المحدثون أنها أعلى ما يرشح الشاعر للمجد: لأن الشعر إنّما يكون شعر إلى جانب لإيقاع الموسيقي، إذ بها تتحقق شخصيته ونرى عبد القاهر الجرجاني بوعيه وحسه القي يعتمد الصورة معيارا للنقد فيقول "فالاحتفال و الصنعية في التصورات التي تروق السامعين وتروعهم والتخيلات التي تهز الممدوحين [2].

ونقف عند الصورة في شعر مفدي زكريا من حيث جمالها ومن حيث مصدرها، لمّا انتقل(محمد الخامس) إلى رحمة الله كان ذلك حدثا جللا، ترك في نفوس المغاربة الألم والحسرة، وكل عبر عن شعوره و إحساسه بطريقة الخاصة وقد نقل مفدي انعكاسه ذلك الحدث في نفوس الشعب المغربي في صورة جزئية تكاثفت لتعطي في الأخير صورة متكاملة تجمع بين مشاهد شتى فقال:

يَا مَنْقَذَ الشّعبِ، قَلْبُ الشَّعْبِ مُنْفَطِرُ وَالأَرْضُ تَرْجفُ ،لِمَا صَاحَ نَاعِينَا؟

هَذْيُ الجَمَاهِير كَالأَمْوَاجِ هَائِجَـــة وَالـــرّوحُ، قَدْ بَلَغَت مِنّا تَرَاقِينَـــا !

نَتِيهُ فِي الأَرْضِ الرُّشْد يَنْهَـــــاهَا وَ لَا صَـوَاب، عَن البَلْوَى يَعْزِينَـــا!

وَفَاتِنَات عَذَارِي فِي مَقَاصِـــــرِهَا نَدْبَن خِدَا، وَمَـــــزّقْنَا الـــفَسَاتِينَا[3].

---

(1)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 300.

(2)- المرجع نفسه ص303.

(3)- مفدي زكريا اللهب المقدس ص193، ص194

و الهيئات التي كانت عليها المصابون في فقيدهم في صورة شعرية و واحدة و لو على الشاعر إذا تعددت لها ماديتها وكثافتها و وضعها الخاص بها في مجموع العمل الأدبي ... فهي أشياء في ذاتها وتنحصر كل حقيقتها و قيمتها في أنها نموذج تخيل من خلاله الصورة الحقيقية التي هي مدلوله الطبيعي[1].

إن العاطفة والخيال يلعبان دورهما في تكوين الصورة الشّعرية لأن عناصر الطبيعية صامتة أو ناطقة ليس لها على هذا النحو خصائص ذاتية تعد من لوازمها، إنما هي أشياء أو أصوات أو مرئيات، إذا لشاعر مؤهل لها فبخياله المبدع وبإحساسه المرهف و شعوره المتدفق الذي يستطيع به أن ينطق الأخرس ويحرك الجامد ومثل هذا الأمر الذي يحدثه الشّاعر ما يضفيه على الطبيعة من شعور و إحساس حتى نغدو ونتحرك كالإنسان نجده في قول مفدي:

نُسَابِقُ الشّمْسَ نَغْزُوهَا بِزُورْقِنَــا فَيَسْخَرُ المَوْجُ مِنَا كَيْفَ نَلْتَـحِق

وَتَغْرَبُ الشّمْسُ تَطْوِي فِيمَلَائِتَهَا سَرِين أَشْفَق أَنْ يُفْشِيهِمَا الشّفَق[2]

الشاعر قد جعل من الطبيعة الصامتة طبيعة ناطقة لها ما للإنسان من توازع إنسانية، وهنا يتجلى دور الخيال في ثراء الصورة ودور العاطفة في شحنها وحركتها.

إذا أراد مفدي زكريا أن ينقل لنا مشاهد من الثورة الجزائرية فإنه لا يجد أحسن من المشهد الدرامي، يقول:

وَ الشَّعْب، يَسْبَحُ للعُلْيَا عَلَى دَمِــه وَلِلتّبَــــرُعِ بِالأَرْوَاحِ يَسْـتَبِـــق

لَمْ يَثْنِه دُونَ إِدْرَاك المَنِي رَهَــق وَإِنْ هُمْ، أَحْرِقُوا بِالنّارِ، أَوْ شُنِقُوا[3].

---

(1)-. أنيسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر (من سنة1945 حتى الاستقلال)، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،دون طبعة ، دون سنة ص150.

(2)- مفدي زكريا، اللهب المقدس ص305

(3)- المصدر نفسه ص29.

فإذا الناس اعتادوا السباحة على الشاطئ، فإن الشّعب الجزائري تعلم كيف يسبح على دمه، وإذا كان التّبرع الأموال، فإن الشّعب تبرع بالأرواح، فقد نقلت الصورة الشعرية موقفا عظيما من مواقف الشّعب الجزائري في ثورته، إنه يسبح على دمائه من أجل كرامته وحريته كما أنّه ليس فقط يضحي بالأرواح بل يتبرع بها، والشاعر قد جمع في هذه الصورة بين المناقضات حيث جمع بين السباحة والدم والتبرع والأرواح، هذا ما يؤكد مدى اتساع مخيلة الشاعر وقدرته على التّعبير[1].

إضافة إلى ذلك فإن مفدي زكريا كان يلجأ إلى الجمع بين الأشياء المتباعدة حيث وجدنا ذلك في قصيدته التي قالها بمناسبة افتتاح مؤتمر الرابع للطلبة الجزائريين بتونس سنة 1960م

عَزَفْتَهُ النُّجُومَ، للـــــكَوْنِ لَحْنَا فَكَسَا الكَوْنَ، رَوْعَةً وَجَـــــلَالَا

زَرَعْتَه الأَشْلَاء فِي الحَقْلِ زَهْرَا غَمَرَ الأَرْضَ فِتْنَة وَجَمَـــــالَا

سَكَبَتَه رُوحَ الفِـــــدَائِي عِطْرَا ضَمَخُ السَّهْلِ، وَالَربى وَالجِبَالَا[2].

فقد استطاع مفدي أن يجنّد بنا إلى الجمع بين المتباعدات التي أحدثها حيث نرى أن الشيئين مثلين متباعدين، مؤتلفين مختلفين (سكبته روح الفدائي عطرا) ونرى الصورة الواحدة في السّماء والأرض،(عزفته النجوم للكون لحنا) وفي خلق الإنسان وخلال الروض زرعته الأشلاء الحقل زهرا)[3].

إن القرآن الكريم كان يقل مكانة مرموقة ومقدسة في نفس مفدي، حيث وردت الصورة الشعرية المستمدة من القرآن الكريم في أسلوبين فقد نجيء امتداد لصور متعددة مستقاة من إحدى سور القرآن الكريم يصنعها الشاعر إطارا لإحدى قصائده، فهو عندما يريد أن يصوّر زلزال الأصنام فإن الصورة القرآنية التي تصور هول يوم القيامة، تلك عليه كل أحاسيسه

(1)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 315

(2)- مفدي زكريا ، اللهب المقدس ص208

(3)- مفدي زكريا، اللهب المقدس ص159

وتستمد مخيلته إلى أن يختارها بألفاظها ومعانيها:

هُوَ الإِثْم زَلْزَلَ زَلْزَالَهَا فَزَلْزَلَتِ الأَرْضُ، زِلْزَالَهَا.

وَحَمَلَهَا النّاسُ أَثْقَالَهَـــا فَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ، أَثْقَالَهَا. [1]

وكما نرى فإن مفدي، هنا ربيب السورة القرآنية الكريمة بألفاظها و فواصلها وجوّها الموسيقى، كما هي في قوله تعالى:"**إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا (5)...**"[2] وفي إطار الصورة الشعرية يقول" غلاب": ذلك لأن جمال الشعري الأداء غير المباشر والصورة التي هي أحسن وسيلة للأداء الخلفي الذي يستعين بقدرة الشاعر على تصديره. وهذا ما التزم به الشاعر في جميع أشعاره[3]

وفي الأخير نستنتج أن من مصادر الصورة الشعرية عند شاعرنا مفدي زكريا، كانت متمثلة في ثلاثة مستويات القرآن الكريم والطبيعة والتاريخ، كما وجدنا الصورة عنده قد تأتي في صورة كاملة وقد ترد في صورة جزئية تتكامل فيما بينها[4].

(1)- مفدي زكريا ، اللهب المقدّس ص 233.

(2)- سورة الزلزلة الآيات 1- 2- 3- 4-5.

(3)- محمد مصايف ،النّقد الأدبي الحديث في المغرب العربي ،الطبعة الثانية ، دون سنةص 246.

(4)- حواس البري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويمص 216، (بتصرف).

5-اللغة و الأسلوب:

قبل التعليق عن الأسلوب والحديث عنه بوصفه معلما من معالم الشخصية الأدبية، نبين هذا المصطلح من الجهة اللغوية.

قال الصاحب اللسان "....ويقال للسطّر من النخيل: أسلوب، وكل طريق ممتد فهو الأسلوب، والأسلوب الطريق والوجه والمذهب، يقال أنتم في أسلوب سوء، والأسلوب بالضم الفن، يقال أخذ فلان في أساليب من القول أي أفانين منه". (1)

أمّا في المصطلح النقدي"هو ليس شائعا ولا عاديا ولا مصوغا في قواليب مستهلكة، وهو طريقة في الكتابة خاصة بمؤلف واحد أو شاعر واحد وقد عرفه "شارل بالي" بأنه "تحول فردي في الكلام"(2) كما عرفه "لبوسيتزر" بأنّه "تحوّل فردي بالقياس إلى المستوى العادي، كما نجد عبارة "بوفون" التي تقول "الأسلوب هو الرّجل ودون شك بأن أحد لا يستطيع أن يرفض تطبيق المصطلح على لمسات الشخصية لكل شاعر". (3)

ومعنى هذا "أن مجموعة الاختيارات الخاصة بمنشئ معين هي التي تشكل أسلوبه الذي يمتاز عن غيره من المنشئين، وثم أصبح للأسلوب خاصيته التي تميّزه عن الكلام العادي، وكلمة الأسلوب تحمل ظلال الفردية والخصوصية والذاتية وعدم الانتماء". (4)

وهكذا فالأسلوب وحده هو الذي يجعل للشاعر أو الكاتب صوتا لا صدى صوتا له ما يميّزه عن بقية الأصوات التي نسمعها في الساحة الأدبية، والأدب تعبيرا عن الحياة، أداته اللغة لأنها الظاهرة الأولى التي ينبغي الوقوف عندها، عند تحدّثنا عن الأدب، لأنّه لا يمكن أن يتحقق إلا فيهما، فالعمل الأدبي إذا بناء لغوي يستغل كل إمكانيات اللغة: الموسيقية التصورية والإيحائية ومن ثم فإن اللغة تعكس شخصية المؤلف، فمن خلال التعامل مع اللغة يصير لكل متعامل أسلوبه الخاص به.

---

(1)- ابن منظور، لسان العرب، المجلّد الثاني عشر،دار الصادر، بيروت ، الطبعة الأ ولى،السنة 2000ص56.

(2)- الحواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 323-ص324.

(3)- المرجع نفسه ص325.

(4)- المرجع نفسه ص 327.

و يعد القرآن الكريم أحد المصادر الأساسية في ثقافة مفدي ولذلك لا يتخلى عن ألفاظه ومعانيه، أما للفظة القرآنية من وقع خاص وأثر متميّز، وللقرآن دقة خاصة في استعمال اللفظة ووضعها فهي لا تترادف مع أختها، بل لكل لفظة موقعها في السياق، وتعامل مفدي زكريا مع اللفظة القرآنية ورد على مستويين:

المستوى الأول:

توظيف اللغة القرآنية بالمعنى واللفظ مثل قوله:

هُوَ الإِثْمُ زَلْزَالَ زَلْزَالَـــــهَا فَزَلْزَلَــتِ الأَرْضُ، زَلْزَالَـهَا.

وَحَمَلَــهَا النَّاسُ أَثْقَالَهُـــــا فَأَخْرَجَـتِ الأَرْض، أَثْقَالَـــهَا.

وَقَالَ ابْـنَ آدَم فِي حمقِـــــه يُسَائِلُـــهَا سَاخِـرَا(مَـا لَـهَا)؟

فَلَا تَسَأَلُوا الأَرْضْ عَنْ رَجَـة تُحَــاكِي الجَحِيـمَ، وَأَهْوَالَــهَا.

أَلَا إِنَّ إِبْلِيــسَ أَوْحَــى لَكُـــمْ أَلَا إِنِّ رَبَّـــكَ أَوْحَـى لَهَا ![1].

من خلال هذه الأبيات نجد الشّاعر سجين سورة من القرآن كاملة بلفظها ومعناها.

إنّ الشاعر كان حبيس اللفظ القرآني للسورة الكريمة " **إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (3) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (4)...**"[2]

المستوى الثّاني:

فقد وجدنا مفدي زكريا يأخذ من القرآن الكريم فيخرج بها مخرجا جديدا ليس كالمعنى الذي يشير إليه ذلك اللفظ المقتبس من القرآن ومن ذلك قوله

أَمَانَا، أَلاَ يَا سَمَاء اقْلِعِي فَقَدْ صَّبت الأَرْض أَنْكَالَهَا [3].

(1)- مفدي زكريا، اللهب المقدس ص233.

(2)- سورة الزلزلة الآيات 1-2-3-4.

(3)- المصدر نفسه ص 234.

فقد اقتبسه من قصة نوح عليه السلام مع قومه الذين خالفوا أمره، وكانت النتيجة أن زخت الأمطار، وامتلأت الأرض بالماء حتى جاء أمر الله تعالى:" **وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ** "[1].

إذا كانت الأرض عند مفدي زكريا كما في البيت(قد صبت) أنكالها من جراء ما فعلت فرنسا من تدمير وتشديد للشعب الجزائري، إبان استدماره فإن السماء كما في الآية، قد كانت عقابا لأولئك الذين خالفوا الله تعالى، حيث أن القاسم المشترك بين الآية والبيت، هو لفظه(اقلعي)، فالخطاب في الآية موجّه إلى السماء أن تكف، وفي البيت أن تزخ بالأمطار لتطفئ النّار المشتعلة في الأرض المدمّرة[2]

ومفدي زكريا، شعره يتميز بجودة الأسلوب ومتانة وقوة التّعبير ومن القصائد الشّهيرة التي يظهر فيها الأسلوب متينا" الذبيح الصاعد" وكما أن أسلوب المخاطبة المباشرة

للمستعمل الأسلوب الأنجح كما هو الحال في ساحة المعركة أين يخاطب السلاح، فيكون النّصر حليف الشجاعة، نجد مفدي يقول في قصيدته الذّبيح الصّاعدة :

يفِرَنْسَا، كَفَى خِدَاعَا فَإنّـــــــا يَا فِرَنْسَا، لَقَدْ مَلَلْنَا الوُعُــودَا

صَرَخَ الشَّعْبُ مُنْذِرَا مُتضَـــــا ممِيت وَأَبْدَيْتُ جُفْوَةَ وَصُدُودَا

سَكَتَ النّاطِقُونَ، وَانْطَلَقَ الرَّشَّ ــاشُ، يَلْقِي إِلَيْك قَوْلًا مُفِيــدَا [3].

ولعل أسلوب المخاطبة المباشرة للاستعارة هو القاسم المشترك بين معظم الشعراء الجزائريين في تلك الفترة، وخاصة أن فرضت الثورة نفسها، في الساحة فكانت لزاما على الشعر أن ينتقل من طريقة الرمز و التلميح إلى المباشرة و التصريح.

---

(1)- سورة هود الآية 44.

(2)- أنيسة بركات درار، أدب النضال في الجزائر (من 1945إلى الاستقلال) ص152.

(3)- مفدي زكريا، اللهب المقدس ص22.

واللّغة ظاهرة أسلوبية عند الشّاعر، والشاعر الأصيل هو الذي يستطيع أن يتعامل مع اللغة تعاملا متطورا مادام الشعر هو الوسيلة الوحيدة لفن اللغة وفني الحياة، و الشعر الذي لا يحقق هذه الغاية الحيوية لا يمكن أن يسمى شعراً بحق[1].

(1)- حواس بري، شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم ص 333.

6 - المعجم الشّعري:

وإذا أردنا دراسة المعجم الشعري للشاعر مفدي زكريا فكان معجما بالألفاظ القوية، هذا من خصائص الأديب على حدّر أي" فرانس فانون" الناضل الإفريقي الذي يقول أنه" لا يكفي أن ينظم الأديب أنشودة ثورة ليعتبر مساهما فيها، عليه أن يصنع الثورة مع الشعب فتأتي الأناشيد بعد ذلك من تلقاء نفسها [1].

إن استخدام شعراء الوطن لمفردات الحياة اليومية، والاقتراب من اللغة الشعب، هذا أدى إلى تكوين معجم الشعري خاص بهم، فلغة الشعر تمتاز بتلك العلاقات التي صنعها الشاعر بتجاوز المفردات وترتيب الكلمات وانتقالها يجعل هذا الشكل طابعا مميزا .

كما نجد هذا في نشيد جيش التحرير الوطني الذي نظمه الشعر بلغة شعبية قريبة الفصحى يقول:

هَذْيُ دِمَانَا الغَالِيَة دَفَّاقَـــة وَعَلَى الجِبَـــال عَلَامـــــنَا حَقَـــاقَه

وَللجِهَاد أَرْوَاحَنَا سَبّاقَـــةٌ جَيْشُ التّحْرِيرِ أَحْنَا.....مَا نَاشْ فَلاّقَه

يَا فِرَنْسَا، لَا يَفِيدَك اليَوْم جُيُوشَك وَلَا تُفَكّ مِنْ أَيْدِينَـــا جُحُوشَـــك [2].

ففي هذه القصيدة يستخدم الشاعر مفردات من الكلام العامي منها: (فلاقة ، سباقة، جحوشك...) هذه المفردات من اللغة الدّارجة.

نحن بصدر دراسة المعجم الشعري نلاحظ في ديوانه" اللهب المقدس" مثلا، فهناك مفردات يستعملها بكثرة وهي متعلقة بالثورة، الكفاح، السياسة، وهي مثل الجرائد الموت، الجهاد، الشهيد، الثورة، الاستقلال، الشعب، الجيش، السجن، الدم، الحرية، الوحدة العربية،

(1)- أحمد محمد عوين، في الشعر العربي الحديث ص 163.

(2)- مفدي زكريا، اللهب المقدس. ص 224.

العروبة، فرنسا، الوطن، الرشاش، البندقية، السيف، الدفع، الرصاص، البارود، الكواسر، الأسد....

و إذا دققنا النظر في هذه المفردات لوجدنا لها علاقة بصورة مباشرة أو رمزية بالوطن المغتصب وكلها جاءت للتعبير عن ذلك العلاقة الوطيدة بين الإنسان، و الوطن، أو التعبير عن معان مثل: الحب، التضحية، المقاومة، الصمود، وهي كلها مرتبطة بقضية الوطن[1].

(1)- يحيى الشيخ صالح ، شعر الثّورة عند مفدي زكريا دراسة فنية تحليلية ، دار النّشر الجزائر، الطبعة الأولى، السنة 1987 ص 149.

إنّ موضوع إلياذة الجزائر موضوع ملحمي، فهي من بدايتها إلى نهايتها تحكي قصة شعب في نضاله ضدّ الاحتلالات الأجنبية، وفي صراع مع الزمن الذي يحمل إليه في كلّ مرحلة من مراحله عدوا جديدا يناصبه العداء بأسلوب جديد، وهي إلى جانب دورها في التاريخ، فإنّها أروع وأجمل ديوان يحتل مكانة مرموقة في الجزائر خصوصا و العالم عموما. (1)

تحتوي على ألف بيت وبيت مقسّمة إلى مائة مقطوعة شعرية بالتساوي و كلّ مقطوعة تحوي عشرة أبيات، و تمثّل مشهدا من المشاهد التي ترفى أحيانا إلى تصوير لوحة فنية تكاد أن تنطق، وهي مرسومة أصلا بالكلمات. (2)

و الملحمة مقسّمة إلى ثلاثة أقسام رئيسية، تتفرّع عن كلّ قسم أقسام:

1 - القسم الأوّل: جغرافية الجزائر الفنية، أو الخلق الإلهي الجميل لهذه الربوع الفيحاء وقد نطلق عليه كذلك تحديد المقطع بالكلمات الفنية التي تشكل صورة فاتنة.

2 - القسم الثاني: ويتعلّق بتاريخ الجزائر، و قد قسّمه الشاعر إلى ثلاثة أقسام رئيسية، بينهما تداخل في المشاهد وهي: تاريخ الجزائر القديم، ثم الوسيط، ثمّ الحديث. (3)

3 - القسم الثالث: و يتعلّق بحديثه عن المجتمع الجزائري و علاقته أوّلا بالجيران، ثم موقفه العالمي من قضايا التحرّر، ثم علاقة أفراده بعضهم البعض، و التطرق بالتالي إلى بعض الأوضاع السيّئة المتدهورة التي عاشها و يعيشها المجتمع الجزائري نتيجة تأثره ببعض الفلسفات و التيارات الخارجية والتي تمنى الشاعر أن تزول لكي يعيش هذا المجتمع على هدى الرسالة العظيمة التي استشهد من أجلها خيرة أبناء الوطن أثناء الثّورة المجيدة و هذا التقسيم في حد ذاته يعتبر قيمة جمالية. (4)

(1)- مجلة الأدب العلوم الاجتماعية، العدد3نوفمبر، السنة 2005.

(2)- مجلة الثقافة، وزارة الثقافة مارس، أبريل، السنة1985.

(3)- بلحيا الطاهر، تأملات في إلياذة الجزائر لمفدي زكريا ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون طبعة، السنة 1989.

(4)- المرجع نفسه، ص110.

1 -الالتـــــــزام:

إذّا كان من المجاهدين من يموت شهيدا، فإنّ نجد من الشّعراء من يظل شاهدا على ذلك المبدأ الذي سقط من أجله الشّهداء، نجد شاعرنا شاهدا على الثورة الجزائرية ملتزما بمبادئها، مدافعا عن أهدافه ساعيا لتحقيق آمال مجاهديها، ولسان حالها في الأمل والألم، ولعله خليق بنا أنّ تقدّم ما تدعيه لمفدي من التزام بهذه الثورة.

فقد كانت الأحزاب السياسية على اختلافها في الوسيلة وتبانيها في الطريقة ألاّ أنّها تلتقي في الهدف، فمثلا كانت جمعية العلمة تتخذ من الإصلاح طريقا في الدفاع وقد سجل لنا مفدي زكريا ذلك:

وَفِي الدَّارِ جَمْـــــــعِيَة العُلَمَـاء تُغَذّي العُقُولَ بِوَحْـي السَّمَـــاء

وَنُهْدِي النُّفُوسَ الصّرَاط السَّــوي وَتغْرس فِيهَا مَعَــانِي الإبَـــاء

توَاكِـــب نَجْم الشَّمَـال انْدِفَاعَـا وَتَغْمُر أَكْـــوَانــه بِالسّنـــَـاء

وَيَعْضُـــــــد بَادِيسَ فِيهَا البَشِـيرُ فَتَزْخَــرُ بِالخَلْــصِ الأَصْفِيَــاء

وَتَغْـزُو الضَّلَالَات فِي التّائِهِيـــــن مَعَ الوَهمِ فِي مَوْكِـبِ الأَغْبِيَاء

وَتُرْسِي جُذُور الأَصَالة فِي الشَّعبِ تَمْحُـــــو بِهَا وَصمَة الدّخَــلَاء

وَتَبْنِي المَدَارِسَ عَـــرْضَ البِــلَاد فَيَعْلَى ابْنَ بَادِيس صَرح البِنَــاء

وَيَرْتَـــــاح مُسْتَعْمِــر مُسْتَبِـــــد وَتَخْشَى الخَفَافِيشُ نَبع الضّيـَاع

وَيَذْهَب ظِل الأَسْـــوَد ابْـن آوَى وَيُـــؤْذِي المَنَافِق صِدْق النِّدَاء

كَذَا عَبَـــدَ العُلَمَــاء النِّنَـــــــايَا بِوَحْيِ السّمَــاء وَوَحْيِ الدّمَــاء [1].

(1)- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون طبعة، السنة 2006 ص60.

نلاحظ من خلال هذه المقطوعة الشعرية و التي بين أيدينا أنّ جمعية العلماء المسلمين نصيب في إنشاده وشعره ،حيث نجده يمجّد جهودها و أعمالها الحضارية في هذه الأبيات، ونجد جمعية العلماء كانت تتّخذ من الإصلاح طريقا في الدّفاع عن الوطن م تاجها العلم.

كما يتبيّن لنا أنّ لها أتباع كثيرون من بينهم" ابن باديس" المذكور في هذه الأبيات، ويستحضرني القول المشهور لهذا العلاّمة "الإسلام ديننا والجزائر وطننا و العربية لغتنا" ،ويتّضح لنا من خلال هذا التّحليل أنّ الشاعر ملتزما بقضايا وطنه بروحه ودمه، وشعره الذي يحوي الثّورة حتّى أصبح يدعى بشاعر الثّورة .

هذا فيما يخصّ التزامه لقضايا وطنه، أمّا فيما تقليده للقافية حسب الظروف المحيطة به، و نظريه إلى الوجود قد أملت عليه هذا الأداء الموسيقي.

2 -الموسيــقى الشعرية:

الموسيقى ميزة أساسية للشعر، إنّها أكثر خطرا في تمييز الشعر نظرا إلى أنّها خاصة به دون النثر، فهي نوعين: الموسيقى الداخلية و الموسيقى الخارجية، ونحن اليوم بصدد تطبيق هذه الأخيرة على هذه الأبيات من إلياذة الجزائر المشهورة، ونأخذ المقطع الذي يتحدّث فيه الشاعر عن مجازر الثامن ماي "1945" و التي مطلعها:

وَلَمْ نَنْسَـــى فِي أَرْبَعِينَ وَخَمْس ضَـــحَايَا المَذَابِح فِي يَوْم نَحس

طَرَبْنَا مَـعَ الخُلَفَاء اغْـــتِرَارَا وَقُمْـــنَا نُصَفّق فِي غَيْر عُرْس

كَانُوا مَـعَ الغَدْرِ، عَوْنَا عَلَيْنَـا وَدَرَسًـا لِقَـــادَتِنَـــا أَيُّ دَرْس

كَانَتْ مَـجَازِرُهُمْ بِسْطِيـــــف وَقَـــالْمَة لِلشَّعْب، دَقَّات جَرَس

وَهز لِـسَتْرَاد شَعْبًا تَوَانَـــــى وَأَيْـــقَظَ فِي العُمْقِ مَيّت حِس*

وَعِلْـمُنَا آشْيَـــــارِي الثّنَايَـا فَـــــــبَدَّدَ لَوْن الدّمَا كُلّ لُبْس

وَكَانَـتْ تُلَاحِـــقُ أَقْـــلَامَنَا سَـــرَاب الضّيَاع فَبَاءَت بِبَخْس

وَكَانَـتْ تُكَافِـــحُ أَحْـــزَابَنَا مَـعَ الوَهَم، بَيْنَ صِرَاخ وَ هَمْس

فَعَطّل صَوْتُ الرّصَاصِ اللّغْيُ وَأَنْطَـــقَ السّـــنَة غَيْرَ خَرْس

فَقَامَتْ تَعْبُـــــدُ أَكْبَـــــادَنَا طَـرِيقَ التّخَلُّصِ مِنْ كُلّ رِجْس [1]

التفّت الصدور العارية، برصاص الرشاش الذي حصد (45ألف)من خير الشباب الذين عملتهم سياسة الأحزاب آنذاك الملاينة السليمة و المطالبة بالكلام بأعز شيء يحصل عليه الإنسان في هذه الحياة (الحرية).

يتّضح لنا من خلال دراستنا لهذه المقطوعة الشعرية أنّ قوافيها جاءت موحّدة وهي

حس*:الجلاّد لستراد كاربونيل طاغية قسنطينية.

(1)- مفدي زكريا، إلياذة الجزائرص64.

نحس، عرس، درس، جرس، حسّ، لبس، بخس، همس، خرس، رجس)، إضافة إلى الدّور

الذي يلعبه حرف (السين)، بل الإيقاع الذي فرضه في هذه الأبيات ، وهو حرف من حروف الهمس حيث نجده يتلاءم مع الحديث الخراب و الموت و التقتيل الذي ألا إليه الشّعب الجزائري ، وفوق ذلك الحزن و الشّقاء ،و هي المقطوعة التي سمّاها الشّاعر بمشهد السينية

كما نجد تواصل نداءات الشاعر مسيرتها في عالم الإلياذة إلى أن تصبح جزءا من القافية لتفرض نفسها على بنية الخطاب الشعري، ودليل ذلك قوله:

جَزَائِــر أَنْتِ عَرُوسُ الدُّنَا وَ مِنْكِ اسْتَمَدَّ الصَّبـَاح السَّنَــا

عَرّجْنَا نُنَافِحُ بَايْنَامَ* ضَحًــا كَأَنَّا اغْتَصَبْنَا لِهَا مَانَ صَرْخاَ [1]

خلال تأمّلنا لهذه الأبيات نجد إيقاعات مفتوحة كانت وقع في نهاية صدر وعجز الأبيات، حيث أفضت إلى إفراز معظم الأصوات على تماثل (الدّنا، السّنا)، (ضحا، صرخا)، فهذا الإيقاع لم يكن وظيفة مجرّد تجنيس الوحدة الصوتية ، و إنّما تعدى ذلك إلى ظهور وظيفة أخرى تمثّلت في تأثير الشّاعر في نفوس السّامعين و المتلقين.

ونعرج إلى مقطوعة أخرى يقول مفدي زكريا:

فَكَمْ بَاتَ يَبْكِي بِـــــهِ مُوجَــعٌ وَيَسْفَحُ دَمْعاً فَيَـغْـمُـرُ سَفحَـــــــا

وَكَمْ مِنْ جَرِيحِ الفُــؤَاد اشْتَكَى فَأَنْخَنَ بَايْنَامَ فِي الصّبِ جُرْحَـــــــا

وَكَمْ مِنْ صَرِيعِ الغَوَانِي تَدَاوَى بِأَنْسَامِ بَايْنَامَ فَـــــازْدَادَ لَفْحـــــــــا. [2]

عند تحليلنا لهذه الأبيات التي بين أيدينا نلاحظ تكرار القافية في أواخر الصدور ، بفضل تكرا كلمة (وكم)و هذا كان متواليا في جملة من الأبيات، و هذا التّكرار ذو وظيفة إيقاعية، ذلك أنّ الكلمة المتكرّرة هي عينها تأتي في مطلع كلّ بيت فتحدث نغما صوتيا لمرحلة معينة

باينام*:غابة باينام أجمل مناخ جبلي في صدر عاصمة الجزائر يوحي بالعظمة و الشّموخ.

(1)- مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ص 20

(2)- المصدر نفسه ص 24.

ثمّ تنقضي، وكأنّ الشّاعر قد قصد بذلك إلى تنبيه الحسّ و تحفيزه لمعرفة عدد الباكين وعدد الجرحى و الصّرعى المبهم ، كون هذه الأداة الاستفهامية يستقيم بها عن عدد مبهم يراد تعيينه

يقول مفدي زكريا:

وَكَيْفَ يَسُوسُ البِلاَدُ غَبِـــــــيٌّ بَلِيدٍ أَضَاعَ الضّمِـيرَ فَضَـــاعَـــا ؟

وَكَيْفَ يَقُـــــومُ بُنْيَانِـــــ ـــــهِ وَ تَقُومُ أَخْلاَقَهُ، مَـــا اسْتَطَاعَـــــا ؟

وَكَيْفَ يَصُونُ الأَصَـــــالَةَ نَشَئٌ وَ قَدْ سَاوَمُوهُ عَلَـــيْهَا فَبَـاعَـــــا ؟

وَكَيْفَ يُنِيرُ الطّرِيقَ شَبَـــاـــب وَقَدْ طَمَسَ الرّجْس فِيهِ الشّعَاعَـــــا ؟

وَكَيْفَ يُصَارِعُ مُوجَ الحَيَـــاة وَمَا اسْطَاعَ فِي أَصْغَرِيهِ الصّرَاعَا؟[1]

يتمثّل التّنغيم في هذه الأبيات في تكرار أداة الاستفهام (كيف)، الجازية في المقطوعة مجرى الدّم في العروق بذلك النّغمة الموسيقية الأساسية التي تسيطر على جو الأبيات العام، وهي هاهنا تربط بأفعال مضارعة تحت على فعل السوس و القيام و الصيانة و الإنارة، و الدواء و الصراع و التسيير في مسار واحد هو الوعد الذي قطعه الشاعر على نفسه في تنشئة جيل عظيم، وقد جاءت التّنغيم من هذه المقطوعة لتأكيد الاستفهام، و يتناسب مع المدى الإيجابي.

كما يقول مفدي زكريا:

تَبَارَكَ وَادِيكَ صُومَامُ إِنَّـــــا حَـــــــفِظْنَا عُهُودَكِ أَيّانَ ثُرْنَا

أَصُومَامُ بِاسْمِكَ صُمَمُ شَعْـب سِيَاسَة ثَوْرَتَهُ، فَانْطَلَـــــــــقْنَـا. [2]

نجد ضمير المتكلّمين (نا)، في هذه الأبيات تَكَرّر طوال هذه المقطوعة، و بالتّحديد في القافية، وتكرار الضمير تأكيد لمؤتمر الصومام، مضيفا إليه المحافظة على العهود و الإثارة و الانطلاقة و التوحيد و الأهداف و السير و الانتصار.

(1)- مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ص95

(2)- المصدر نفسه ص69

ويقول مفدي في هذا المقتطف:

وَقَالْمَة تَزْهُو بِحَمّـامِـــــــهَا يُهَدْهِدُ مَعْسُولَ أَحْلَامِـــــــــهَا

يُشَيِّعُ البُخَارَ تَبَارِيحَـــــــهَا وَ يَشْكُو مَوَاجِعَ آلَامِـــــــــهَا [1]

نستنتج أنّ هذه الأصوات التي انتهت بها قافية هذه الأبيات ليست مجرّد أصوات طبلية فضفاضة تطير في الهواء و تدوي في الفضاء بدون غاية تذكر، بل إنّ الهاء حرف حلقي عميق، يكاد يخرج من أعماق الجهاز الصوتي و هو نتيجة لذلك يحمل في طياته دلالة أخرى هي التعبير عمّا يكن في النفس من الحزن والألم و الشقاء، و ممّا زاد في عمق هذا الحرف هو تعلّقه بألف المد التي كان لها الشأن الكبير في أن تعكس لنا نفسية الشاعر الكئيبة، فهذه الهاء التي جاءت ضمير غائبا يعود على قالمة خرجت من العمق و أصبحت تعترف بوجودها، و نفت غيابها دلاليا ممّا جعل هذا الضّمير قائم في الذهن، و ثابت مجسّد في مكان النّفس.

ونجد مفدي يقول:

وَأَنْتَ الحَنَان، وَ أَنْتَ السّمَــاحُ وَأَنْتَ الطمَاحُ، وَ أَنْــتَ الهَنَــا. [2]

من خلال تأمّلنا لهذا البيت نجد وقوع النّغم في الجناس(أنت، أنت) نوعه تام ، و الآخر في (السّماح، الطمّاح)جناس ناقص، هذه الألفاظ بصفاتها الصوتية تصور المعاني تصويرا حسيا و تضفي عليه جرسا موسيقيا موحيا مؤثرا، و يمكن تصنيفها ضمن الموسيقى الداخلية لأنّها تحدث جرسا موسيقيا داخل النّص .

و في هذا المشهد يقول:

وَ يَا قِصّة بَثّ فِيهَا الوُجُــود مَعَانِي السُّمو بِـــــرَوْعِ الحَيَـــــاة

و يَا تُرْبَة تَاهَ فِيهَا الجَـــلَال فَتَاهَت بِهَا القِمَم الشَّـــــــــامِخَات

(1)- مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ص71.

(2)- المصدر نفسه ص20.

وَأَهْوَى عَلَى قَدَمَيْهَا الزَّمَــان فَأَهْوَى عَلَى قَدَمَيْهَا الطُّغَـــــــــاة. [1]

نلاحظ في هذا البيت الأخير، إنّ حسن الجزائر خرّ لها الزمان نفسه وهو الذي أهوى الطغاة على الدّهور السحيقة، ولعلّ هذا الجناس أحدث تناغما موسيقيا داخليا لتفجير المعنى الجميل بواسطة الكلمة، فأهوى الأولى لفظة رقيقة عذبة، أمّا أهوى الثانية فقد حملها نقيض الأولى لاستقامة المعنى من الغزاة المستبدين سيجد مصيره المحتّم.

ضف إلى ذلك نجد وقوع النّغم في موضع آخر إذ يقول:

أَ يَا عَبْدَ قَادِر كُنْتَ القَدِيـــــرَا وَ كَانَ النَّضَالَ طَوِيلًا عَسِيـــــــرَا

شَرَعْتُ لِلْجِهَاد فَلَبّاكَ شَعْـــــب وَ نَاجَاكَ رَبّ، فَكَانَ النَّصِيـــــــرَا

وَ يَأْبَى الحَدِيدُ اسْتِمَــاعَ الحَدِيثَ إِذَا لَمْ يَكُن مِنْ رَوَائِعِ شِعْـــــــرِي ![2]

مثل هذا التّنغيم في هذه الأبيات تمثّل في الجناس (فلبّاك، وناجاك)و (الحديد، الحديث) نوعه ناقص و هذا ما يعطي نغم وجرس موسيقي داخل البيت الشّعري، ويضفي على البيت رونقا و حيوية و يشدّ انتباه القارئ.

و نجد أيضا في قوله

فَتَبِيض صَفْحَة افْرِيقْيَـــــا وَ يَسُودُ وَجْهَ المَغِيرِ الحَنَـــايَا

وَإِشْرَاقَة الرُّوح مِنْكَ تَنَاهَت تُشَيّعُ الجَمَالَوَ تَفْشِي الحَنَانَ[3]

يتمثّل التّنغيم في مثل هذه الأبيات في الطّباق من خلال الألفاظ (تبيض #تسود) بين (إشراقة# تشيّع) نجد الطّباق الأوّل مباشر واضح المعنى، فالاستقلال بياض يذل و يسود وجه المستعمر، أمّا الموقف الثّاني فلروح مشبّهة بالشّمس التي تظلّ و تشرق لو غابت تموت و تشيع.

(1)- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر ص17.

(2)- المصدر نفسه ص53.

(3)-مفدي زكريا ، إلياذة الجزائرص116..

ممّا سبق ذكره يتبيّن أنّ التّنغيم يتشكّل من خلال ارتفاع و انخفاض في درجة الجهر في الكلام ، كما يتّضح لنا أيضا أنّ التّنغيم يعطي للكلام جمالا و رونقا و يزيد سلامة و يجعله في نفس القارئ دور الشّعور وذلك للأهمية القوية التي يمتلكها درجة التّأثير .

و قد نظم مفدي زكريا خطابه الشّعري "إلياذة الجزائر" وفق أطر موسيقية و إيقاعية يضبطها البحر المتقارب بتركيبه المقطعي و" البحر حالة نفسية قبل حالة أن

يكون حالة موسيقية "[1]

عرف بحر المتقارب منذ القديم بأنه خفيف الوقع يلائم الحركة الدورانية السّريعة وذلك لمرونته ومناسبته تقريبا لجميع الأغراض الرشيقة الحماسية منها أو الوضعية السريعة.

وقد نلاحظ ذلك في هذا الوقع الثنائي الرائع الذي تحدثه تفعيلته:

فعولن فعولن فعولن فعولــن فعولن فعولن فعولن فعولـن

الحل في هذه الرشاقة التناغمية لوقع الموسيقى الخارجية التي يحدثها البحر، ما يساعد، على أن يعطي النص نوعا من الغنائية التي تؤثر بوقعها المتناغم في الأذن العربية

.

(1)- عبد بدوي ، دراسات في النّص الشّعري ، العصر الحديث، دار قبّاع للطّباعة و النّشر و التّوزيع ، القاهرة، دون طبعة، دون سنة ص30.

3- الصورة الشعرية:

إن الصورة الشعرية من فنيات في الشعر الأساسية، ميل الشاعر إلى التعبير عن طريق الصورة، وإذا استطاع مفدي بخياله أن يثّبت في الطبيعة الحداثة والحياة فإنه بالمقابل وقف أمام مشاهدها ولا تتحرّك له عاطفة ولا ينجح له خيال فنوغم من جمال الطبيعة التي عرفتها الجزائر ويشهد لها الشاعر بذلك، إلا أنّه لم ير على بعض صورة الشعرية من خياله وعواطفه وأحاسيسه وبقي مستوها يصف ولا يحرّك [1] فقال في هذه المقطوعة:

جَزَائِر يَا مَطْلَعَ المُعْجِـزَات وَ يَا حُجَّةَ اللّهِ فِي الكَائِنَـــات.

وَ يَا لَوْحَةَ فِي سِجِل الخُلُودِ تَمُوجُ بِهَا الصُّوَرُ الحَالِمَـات.

وَ يَا بَسْمَةَ الرَبّ فِي أَرْضِهِ وَ يَا وَجْهَهُ الضَّاحِك القَسَمَات.

وَ يَا قِصّةَ بَثّ فِيهَا الوُجُود مَعَانِي السُّمُـــوْ بِرَوْعِ الحَيَاة.

وَ يَا صَفْحَةَ خَطَّ فِيهَا البَقَا بِنَـــارٍ وَنُـــورٍ، جِهَادَ الأَبَاة. [2]

من خلال هذه الأبيات يتبيّن لنا أنّ الشّاعر نقل لنا ما تميزت به الجزائر من جمال طبيعتها ويعمم ذلك دون أن يحصر عدسته اللاقطة في زاوية معينة أو منطقة بعينها ومادام في موقف بطولي فالجزائر بالنسبة إليه –هنا- هي الجزائر سواء في ذلك شرقها وغربها وشمالها وجنوبها ولم يرع في أن يجعل الجزائر لجمالها ، حيث نجده يشبّه الجزائر ببسمة (الربّ) ووجهة الضاحك القسمات

و يواصل قوله:

وَأُسْطُورَة رَدَدَتْهَا القُــرُون فَهَاجَت بِأَعْمَاقِنَا الذِّكْرَيَات

وَ يَا تُرْبَة تَاهَ فِيهَا الجَــلَال فَتَاهَت بِهَا القِمَم الشَّامِخَات

(1)-يحي الشيخ الصالح، شعر الثورة عند مفدي زكريا دراسة فنية تحليلية، دار النشر الجزائر، الطبعة الأولى، السنة 1987، ص 338.

(2)- مفدي زكريا ،إلياذة الجزائر، ص17.

وَأَلْقَى النَّهَايَة فِيهَا لِلْجَمَـــال فَهْمُنَا بِأَسْرَارِهَا الفَاتِنَـــــات

وَأَهْوَى عَلَى قَدَمَيْهَا الزَّمَان فَأَهْوَى عَلَى قَدَمَيْهَا الطُّغَـاة. (1)

وكما نرى أنّ الشاعر عدد من خلال هذه الأبيات جمال الجمال، وأحاط به من جوانب عديدة فهي مطلع المعجزات، وآية من آيات الله، يحاجج بها كدليل على إطلاق قدرته- سبحانه و تعالى ومن نار ونور لتظل طول الزّمن شاهدة على بطولة الشعب الجزائري، وقبل هذا فهي أسطورة عبر التاريخ، ذكرياتها تحفز الشاعر وتوهج مشاعره حتى تجود قريحته شعرا.

ويتبيّن لنا الطبيعة عند مفدي زكريا مرآة للجزائر" بابل – حب الخلد – مطلع المعجزات – حجة الله في الكائنات" وهي بهذا تعمق إيمانه وترشح عقيدته- عملا بقوله تعالى" **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ**".(2)

كما تسمو بحبه للوطن إلى رتبة العشق القدسي:

جَـــزَائِر يَا بِدْعَةَ الفَاطِـــر وَ يَـــا رَوْعَةَ الصَّانِع القَـــادِر

وَ يَا بَابِلَ السِّحْر مِنْ وَحْيِهَـــا تلقب هَارُوتَ بالسّاحِـــــــرِ

وَ يَا جَنَّة غَارَ مِنْهَا الجِنَـــان وَأَشْغَلَه الغَـــيْب بِالحَاضِـــــــرِ

وَيَامَنْ سَكَبَت الجَمَال بِرُوحِي وَ يَا مَنْ أَشْعَت الضّيَاء بِدَرْبِـــي

فَلَوْلَا جَمَالَكِ مَا صَحّ دِينِـــي وَ مَا إِنْ عَرَفَت الطّرِيق لِرَبّـــي. (3)

كما نجد زكريا في هذه الأبيات يواصل في وصف الطبيعة وتوسع في مدحها، صورة للجمال، والإيمان والوطنية والثورة غير أنّها انحصرت في طبيعة الجزائر أولا، ثم طبيعة الوطن العربي ثانيا، ولا طبيعة غيرهما، إذ لا تعثر له على وصف أي منظر طبيعي في أوروبا مثلا، على الرّغم من جولاته بها، وذلك لشعوره المخلص إزاء وطنه من جهة، ورفضه المطلق "للآخر" من جهة أخرى.

(1 مفدي زكريا، إلياذة الجزائر ص17

(2)- سورة آل عمران، الآية 190

(3)- مفددي زكريا، إلياذة الجزائر ص 18.

يقول مفدي زكريا:

فَيَا أَيّهَا النَّاس...هَذِهِ بِـلَادِي وَ مَـــعْبَدُ حُـبِّي، وَحُلْمُ فُؤَادِي

وَإِيمَانَ قَلْبِي، وَخَالِصَ دِينِي وَمَــبْنَاهُ فِي مِلَتِي وَ اعْتِقَـادِي

بِلَادِي أُحِبُّكِ فَوْقَ الظُّنُـــونِ وَأَشْـــدُو بِحُبِّكِ فِي كُلّ نَــادِي

عَشِقْتُ لِأَجْلِكِ كُلّ جَمِـــيلٍ وَهِمْــتُ لِأَجْلِكِ، فِي كُلّ نَادِي. [1]

يتضح من خلال هذه الأبيات أنّ الصورة جاءت كتلة واحدة لا يستطيع القارئ أنّ يجزأها أو يحذف منها، فالبنية خيط رفيع، وعرق واحد يسير داخل المعني الموازي للفظة المختارة والوحدة العضوية متأكدة، رغم تباعد مسافات المعاني في بعض الأحيان إلاّ أنّها مشدودة إلى بعضها البعض، ولعّل الشيء الذي نستنتجه من هذا أنّ الشاعر قد استطاع أنّ يصف بعفوية كل ما أمكن أن يعبر عنه، مازجا بعض المشاهد لاحقا كل مكان من هذه الأمكنة بالشيء الذي عرفه به أصلا.

هكذا أعربنا عن أنها طبيعة ساحرة، و فتن بها الأوروبيون خاصة حتى كانت "أوّل وطن عربي يستعمر، وآخر وطن خرج منه الاستعمار، لأنّ هذا الأخير استهواه جمال الجزائر.

(1)- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص 25.

4-المعجم الشعري:

نحن اليوم في صدد دراسة المعجم الشعري لمفدي زكريا في مقطوعة من إلياذة الجزائر والتي مطلعها:

جَزْيُ اللهِ عَنَّا الشّدَائِدَ خَيْـــــرَا وَذِكْرَى احْتِلَالِ الجَزَائر* شُكْـــرَا

وَإِنْ نَنْسَ... هَلاَّ نَسِينَا الجِرَاحَ وَمَازَالَــت الجِرَاحَــات حَمْــرَا

وَإَنْ آلَمُونَا بِمَائَــةِ عَــــــــامٍ حَفِلْنَا بِعِيـــدِ الجَزَائِـــر دَهْــرَا

وَإِنْ رَقَصُوا فَوْقَ أَشْلاَئِنَـــــا وَأَحْيُوا عَلَى مَذْبَحِ الشَّعْبِ ذِكْــرَى

رَقَصْنَا عَلَى نَغَمَاتِ الرَّصَـاصِ وُرُحْنَا نَبُثّ المَقَـــــادِير سِـرًّا

وَإِنْ خَفَسُوا نَجْمَ هَذَا الشَّمَـــال* فالشّعْبُ حِزْبٌ مَّضَــى مُسْتَمّــرَا

ضَمَائِرَ أَخْلَصَ فِيهـــا البَقَــاء عَلَى العَهْد... مَا إِنْ تُبَاعُ وَتُشْــرَى

إِذَا مَـا فْيُولِيـت* ظَلّــلَ قَوْمًــا وَغَرَّ ضِعَــاف العُقُــولِ وَأَغْــرَى

وَخَــدّرَ قَوْمــًا بِالمُؤْتَمَـرَات* فَظَنَت سِرَابَ المَتَاهَــات نَهْـرَا

فَالشّعْب حِزْب يَصُونُ المَبَادِئَ وَشَعْب الجَزَائِــر بِالنَّــاس أَدْرَى[1].

عند تحليلنا ودراستنا للمعجم الشّعري في هذه المقطوعة نلاحظ أن الكلمة "الشعب" وردت أربع مرات وكلمة "الجزائر" وردت ثلاثة مرات، إضافة كلمة "ذكرى" وردت مرتين، ترددت كلمة "الجراح" و "الرقص" مرتين، كما نجد أنّ الشاعر استخدم مفردات مثل "الشّعب

*الجزائر: العيد المئوي المشهور

*الحزب : حلّ حزب نجم افريقيا الشمالية

*المؤتمر: المؤتمر الإسلامي عام 1836

*فيوليت: مشروع بلوم فيوليت

(1)- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، ص 47

– احتلال – الجراح- الجزائر – حمرا – الألم – مذبح – الرصاص – حزب – الشمال – المؤتمرات – القوم – العهد – الذكرى- فيوليت – النغمات"، كل هذه المفردات تعبر عن الثورة وتدل على القضية الوطنية.

كما نجد ارتفاع بعض الكلمات بصورة لافتة الانتباه والنظر- ومن ذلك على سبيل المثال كلمة "الجهاد" استعملها الشاعر ثلاثة وعشرون مرة، و" الجزائر" استعملها أيضا ثلاثة وثلاثون مرة، كذلك "الشعب" وردت في الإلياذة ثلاثة وثلاثون مرة، إضافة إلى كلمة "الدّم" التي تدل على القتل و التشرد وما يلحق بها من آلام ترددت ثلاثة وثلاثون مرة، و" الشباب" عشرون مرة، والعشق تسعة عشر مرة دالة على حب الشاعر لوطنه "الجزائر".

حتى أنّنا نج الشّاعر لم ينس المغرب العربي، نجد كلمة العروبة وردت من (أربع مرات إلى خمسة عشر مرة) إضافة إلى فلسطين الوطن الشقيق وردت من(خمسة عشر مرة إلى عشر مرات)،و المغرب العربي من (تسعة وعشرون إلى ثمانية وثلاثون مرة)، هذا فيما يخص الدراسة الكلية في العجم الشعري للإلياذة[1]

وهذا دليل على أنّ هناك حس حضاري دفع به إلى الإيمان بوحدة الصّف و الأخوة بين أبناء المغرب وأبناء العروبة عامة و يظهر هذا من خلال توظيفه للكلمات الدالة ذلك.

كما يمكن أن نستنبط أنّ معجم الشاعر من خلال هذه الدراسة لإلياذة الجزائر بسيط سهل لا يوجد هناك غموض، ألفاظ متداولة في مجتمعنا ، وتصبّ كلها في القالب الثّوري، وذلك راجع إلى أنّ موضوعها ملحمي يحكي عن قصة شعب في نضاله ضدّ الاحتلال.

(1)- حواس بري ،شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ص 360.

5- اللغة والأسلـــــوب:

فيما يخص اللغة وجدنا مفدي زكريا يتعامل مع ألفاظ القرآن الكريم، وهو لا يقف عند اللفظة وإنّما يحاول أنّ ينفخ فيها حتى يعطيها مفهوما جيّدًا، حيث تعامله مع اللفظة القرآنية ورد على مستويين، واليوم نقوم بتحليل بعض المقاطع من إلياذة الجزائر نقف عند هذه الأبيات يقول مفدي زكريا في هذه المقطوعة:

وَيَضْحَكُ فُورُوم* مِنْ حَيَـــوَان غَوَاهُ السّرَاب فَضْـــل طَرِيـــقَة

وَمِنْ خَائِرِينَ كَأَعْجَازِ نَخْـــلٍ ضَمَائِرِهُمْ فِي الـــمِزَاد رَقِيقَـــــة

وَحَسبُ الجَزَائِر، أَبْطَال بلكورَ وَالقَصَبَة الحَامِلِيـــــنَ الوَثِيقَـــة [1].

يمكننا القول أنّ الشاعر أخذ الكلمة ومعناها، "**كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ**"[2]. وإن كانت كلمة "خاوية" ضمنها في عجز البيت الثّاني و ضمائرهم في المزاد رقيقة، فقد أوحت الآية القرآنية إلى أنّ الشاعر البيت فأخذت اللفظ ومعناه.

ويقول أيضا:

وَتَقْصُرُ دُونَ خُطَـــاي خُطَـــاهُمْ وَيُؤْذِيهِمْ الوَرْدُ* مِنْ طِيبِ عِطْرِي

تَرَكْتُ الخَوَالِفَ، تَحْسُوا الغُبَـــارَ وَطِرْتُ أُسَابِقُ مَطْلَـــع فَجْـــر

وَدُسْتُ الصَّرَاصِيرَ بَيْنَ الصُّخُورِ فَصَغَّرَ خَدَّ الحِجَارَة صَخْـــرِي

وَأَلْقَيْتُ فِي السّاحِرِينَ عَصَـــاي تُلَقَّفُ مَا يَأْفَكُـــونَ بِسِحْـــــرِي [3].

فوروم*: ساحة أمام قصر الحكومة كان المتمردون عقدوا فيها تجمّعا .

الورد*:أي سخير القلوب ، للقلوب بدون أوراق والاعتماد بشيع المحبّة و العاطفة الصادقة بين الأصدقاء .

(1)–مفدي زكريا، إلياذة الجزائر ص12.

(2)- سورة الحاقة، الآية 07

(3)- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر ص 113.

وهذا فقد أخذ الشّاعر الألفاظ القرآنية وخرج بها إلى معنى ليس كالذي نعرفه من خلال الآية، وإنّما قصد بعصاه شعره ودوره في الثورة، فالبيت الأخير من هذه المقطوعة مقتبس من قوله تعالى" **وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ** "[1].

ويقول كذلك مفدي زكريا في هذه الأبيات :

فآمن بي كلّ حرّ أصيـــــــــــل و انكسر شمس الضّحى كلّ عمر

أَجَلْ...قَدْ بعُـــدتُ لِأَزْدَاد قُرْبَـــا وَيُلْهِبُ حُب بِـــــلَادِي فُـــؤَادِي

أَرَى فِي كُلّ كَيَانِ الجَزَائِر ذَاتِي بِكُلّ اعْتِزَازٍ وَ كُـــــلّ اعْـــتِـدَاد

وَ مَازِلْتُ عَنْهَا بِدُنْيَـــا القُـــلُوب سَفِير القُلُوب بِـــــدُون اعْـــتِمَاد. [2]

فقد رمى جمهور المثقفين في الجزائر، إضافة إلى أنّ الشّاعر قد طرق جميع أبواب الشّعر وطرق كل الأبواب، كما هو واضح في البيت الأول و نلاحظ أنّ البيت الشعري مقتبس من القرآن الكريم من قوله تعالى: "**أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ**"[3]، وضمنه الشاعر في الشّعر.

وبعد انتهائنا من المستوى الأول نعرج إلى المستوى الثاني الذي وجدنا مفدي فيه يأخذ من القرآن فنجده يخرج بها مخرجا جديدا ليس كالمعنى الذي يشير إليه ذلك اللفظ المقتبس من القرآن، يكمن هذا في هذه الأبيات وفيه يقول:

فَيَا رَب قَدْ أَغْرَقْتَنِي ذُنُوبِـي وَأَنْتَ العَلِيمُ بِمَا فِي الغيُـــوب

أَتُوبُ إِلَيْـــكَ بِإِلْيَـــــاذَتِي عَسَاهَا تَكَـفِّرُ كُـــلّ ذُنُوبِـــي

عَصيتُكَ عِلْمًا بِأَنّكَ تَعْفُـــو عَلَى المُسْرِفِينَ فَهَانَت خُطُوبِي

(1)- سورة الأعراف الآية 117.

(2)- مفدي زكريا، إلياذة الجزائر ص 115.

(3)-سورة الشعراء، الآية225.

وَلَوْلاَ صِفَاتُـكَ رَبٌ غَفُـورٌ رَحِيمُ لَضَاقَـتْ عَلَـيّ دُرُوبِـــي

وَأَكّدَ فِعْلُ الصِّفَات العصـاةُ فَأَكّـــدَ فَضْـلكَ سِتــرَ العُيُــوب

وَإِنْ أَنَا لَمْ أَعْصَ أَهْلَكْتَنِـي وَأَبْدَلْتَـــنِي بِطَـــرُوب لَعُـــوب

فَيَا رَب مَا حِيلَتِي فِي الهَوَى وَفِيـــكَ إِذَا لَـــمْ تُكَـــفّر ذُنُوبِـــي [1]

لقد نجد اختار الشّاعر من الألفاظ ما يليق بالموقف وما يتماشى ومقام التوبة من الذّنب و محاولة التّقرب من الله تعالى ،وما يتماشى و الجلال وما يليق بالله من رحمة و عفو ،وما يؤكد ضعف البشر من تقصير ،و خطأ ،وكلّ هذا تجلى في اختيار الشاعر التدقيق للألفاظ و الكلمات التي يتطلبها الأدب مع الله تعالى وتؤكده الثّورة الصادقة ممن يريد أن يعفو عنه خالقه سبحانه و تعالى .

يقول مفدي زكريا:

نُسَائِل أَشْجَاره الفـَارِعاتِ حَدِيثً الْنّجُوم فَتُبدعُ شَرحَا

وَ يَلْتَفُّ سَاقٌ بِسَاقٍ فَتَصْبُو فَيَغْمُرُنَا مُلْتَقَى الفِكْر نصحَا

كَأَنَّهَا عَمَالِقَ بَايْنَام جَمـعٌ بِبَارِيسَ يبْنِي لِفِيتْنَام صُلْحَا[2]

نلاحظ في البيت الثّاني مقتبس من القرآن الكريم و ضمّنه الشّاعر في شعره، و قصد البيت واضح من قوله تعالى"**وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ**"[3]، إلى جانب شيوع اللفظ القرآني تميّت المعاني و الصّورة بالدّقة حيث أنّ الشّاعر يستعمل لكلّ مقام مقال الذي يفرضه اللفظ و يحدّده المسار.

(1)- مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ص98

(2)- مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ص24.

(3)- سورة القيامة الآية 29.

يقول علي البطل "التّكرار في حدّ ذاته وسيلة من الوسائل الشّعرية التي تعتمد و تأتي الكلمة الفنية لإحداث نتيجة معيّنة "

إذن التّكرار في شعر مفدي زكريا مثلا نجده في المقطع الأخير من إلياذته:

بِلَادِي ، بِلَادِي ، الأَمَان الأَمَان أُغَنِي عَلَاكِ ، بِأَيّ لِسَان ؟ (1)

نلاحظ من هذا البيت تكرار كلمة (بلادي، بلادي) وكلمة (الأمان الأمان)و قد تضمّنت في سياقها مكانة الجزائر في قلب مفدي ، يمجّد بلاده للمرّة الأخيرة ، وهو يودّعها الوداع الأخير قبل أن يعود إليها جثمانه الهامد، و يبدي بخروج الجزائر ، وهي البطل منتصرا على كلّ العقبات التي اعترضت سبيله.

و يقول مفدي زكريا:

وَ يَا مَنْ سَكَبَتْ الجَمَالَ بِرُوحِي وَ يَامَنْ أَشْعَت الضّيَاءَ بِدَرْبِي (2)

نلتمس من هذا البيت الشعري حضور فعّال للفظة (سكبت)، و هذا يتناسب مع الرّوح الثّائرة و المتمرّدة العاشقة للوطن و الحرية "لمفدي زكريا"، فشاعرنا قد علّق عرقوب الحرية ، بالكلمة المنسوبة بخيوط من الدّلالات خيوط متينة ، قوّة حبّ الجزائر، و جميلة جمال روح الشّعب الذي ظلّ متماسك بأوتار نوفمبر.

يقول الشّاعر:

وَ أُسْطُورَةٌ رَدّدَتْهَا القُرُون فَهَاجَت بِأَعْمَاقِنَا الذِّكْرَيَات (3)

من خلال دراستنا للبيت يتّضح أنّ لفظة (رددتها) التي توحي بالتّكرار ، بمعنى أنّ الجزائر هي الأسطورة التي تناقلتها القرون بافتتان و إعجاب ، فشكّلت بذلك جزءا هاما من الذّاكرة الحضارية للإنسانية .

(1)- مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ص116.

(2)- المصدر نفسه، ص21.

(3)- المصدر نفسه، ص19.

بدت في الإلياذة من حيث الشيوع والتكرار من الأصوات التي تحقق في جلها عنصر الانطباق الدّلالي، ومن أحسن الصوامت المعبرة عن هذه الظّاهرة اللغوية الأبيات من هذه يقول مفدي:

دِمَاء ابْن رُسْتُم مِلْء الحَنَايَـــــا صَوَارخ يَلْهَبْن عِـزَة نَفْسِـــــي

وَ عِرْقُ الأَصَالَة طَهَّر طَبْعِـي وَنُورُ الهِدَايِة أَذْهَـــبَ رِجْسِـي

وَكُرّمْت، بِاْسم المَفَاخِر، قَوْمِي وَشُرّفْت، بِاسْم الجَزائِر جِنْسِي. (1)

نلاحظ تردد الراء في مرات وذلك (عرق، طهر، مثل هذا المثال في البيت الثاني أربع نور، رجس)،ويدلّ ذلك على أنّه متصل بالحدثة والتّتابع والانتقال المفاجئ من حالة الارتباك والقلق والاستقرار والأمن.

بعد الانتهاء من اللغة تتنقل إلى الأسلوب الذي يعد هو الأخير خاصية و قيمة جمالية حيث نجد مفدي زكريا يفتتح في إليّاذته بحرف النداء "يا" وهو لكل منادى قريبا أو بعيدا ومتوسطا، لتنبيه ودعاءه ليجيب لأن النداء في حد ذاته تنبيه المدعو، ودعاءه بحروف مخصوصة وهي "يا" وأخواتها ليجيب ويسمع ما تريد وخير مقطوعة التي حملت أي "الأسلوب" المقطوعة الأولى وفيها يقول:

جَزَائِر يَا مَطْلَع المُعْجِزَات وَ يَا حُجَّة اللّه فِي الكَائِنَـــــات.

وَ يَا بَسْمَة الرَبِّ فِي أَرْضِه وَ يَا وجْهَه الضَّاحِكِ القَسَمَـات.

وَ يَا لَوْحَة فِي سِجِلِّ الخُلُودِ تَمُوجُ بِهَا الصّوَرُ الحَالِمَـــات. (2)

نلاحظ من هذه الأبيات استعمال الشّاعر لأداة النّداء تسع مرات، وهذا دليل على قوة الشاعر وفطانته في وصف بلده و استخدام هذه الأداة بهذا الشكل إعلان لحادثة عاشها ،

(1) - مفدي زكريا ، إلياذة الجزائر ص33.

(2)- المصدر نفسه ص17

الشاعر أو يريدنا أن نعيشها معه، كما نجد الشاعر يكثر من استعمال أداة النّداء، فيذكرها في كلا الشطرين، ليشعر القارئ أو المستمع منذ الوهلة الأولى المنادى في صرحة تامة يطلب الاستغاثة

كما نجد كذلك الشّاعر استخدم هذه الكلمات (لجزائر المعجزات- الكائنات- الضاحك- القاسمات –الحالمات)، هذا وقد ابتدأ الشاعر إلياذته بكلمة الجزائر، وهي منادى علما أو نكرة مقصودة التقدير (يا جزائر)، والنداء ههنا مقصود الإقناع والتّباهي بعظمة البلاد، ومفدي زكريا بهذا التأويل ينادي بإيقاعه النّدائي هذا البليغ النّاس ما في قلبه من تأوهات، وهو حين يعمد إلى اصطناع مثل هذه الامتدادات الإيقاعية المتتالية في كل أبيات الإلياذة تقريبا، إنّما يجب أن يبتغي من وراء اصطناعها أن يعبر من بركات متأجج من الآلهات المنبعثة من صدر معموم، ليمتد هذا الصوت إلى أقصى مدى ممكن من الاندفاع والانتشار حتّى يصل الحاجر القابل والاستقبال

ويقول مفدي زكريا:

تَأْذَن رَبكَ لَيْلَةَ قَـــــــــدَر وَ أَلْقَى السِّتَارَ عَلَى أَلْفِ شَهْـرٍ

وَقَالَ لَهُ الشَّعْبُ أَمْرُكَ رَبِّـي وَ قَالَ لَهُ الربّ: أَمْرُكَ أَمْـرِي

نُوفَمْبَر غَيَّرْتَ مَجْرىَ الحَيَاة وَ كُنْتَ –نُوفمبرَ- مَطْلَعَ فَجْرٍ[1]

نلاحظ من خلال هذه الأبيات توظيف الشّاعر أسلوب التفضيل حيث نجده يفضّل أمّه الجزائر و يغني ثورتها واصفا إيّاه بكلّ جميل خالد ، إضافة إلى أنّه يفضّل الثّورة الجزائرية على سائر ثورات العالم، ويفضّل كذلك شعبه على العالمين مشبّها ليلة الفاتح نوفمبر التي انطلق فيها الكفاح التحريري ، أي ثورة الجزائر بليلة القدر المباركة ، و شعب الجزائر بصحابة بدر.

(1)- مفدي زكريا، إلياذة الجزائرص67

و يقول مفدي زكريا:

فَلَوْ لَا جَمَالَكِ مَا صَحَّ دِينِي وَ مَا عَرَفْتُ الطّرِيقَ لِرَبِّــي

وَ لَوْ لاَ العَقِيدَةَ تَغْمُرُ قَلْبِي لِمَا كُنْتُ أُؤْمِنُ إلاّ بِشَعْبِـــي [1]

نجد الشّاعر في طيات هذه الأبيات توظيف أسلوب المبالغة دليل على تعلّقه بالجزائر و هيامه بها يجوز لنفسه أن يراها مقدّسة ، حيث أنّه بالغ في حبّه للجزائر و لثورتها ، وكلّ جميل يهيم في ريح الجزائر.

إنّ تعامل مفدي مع اللغة تعامل المشرع لها، لا تعامل الناظم الذي يكتفي باللغة في صورتها الأبجدية، فقد شرّع لها معان جديدة لم تعهدها اللغة من قبل وبها تميّز الشاعر، حيث ترشحه إلى الأدبية و تبعده عن النظم الذي يبدو في غاية الضحالة و ضيق الأفق.

هكذا يتجلى لنا أسلوب مفدي ، بالوضوح والقوة و البساطة و الفخامة و الجزالة، عربي صميم في ألفاظه وفي روحه يميل إلى التّدقيق في تحديد المسميات بأسمائها الخاصة، حيث نجده يعتزّ بالجزائر من خلال أسلوبه، والقومية العربية يعتدّ بها كثيرا.

(1)- مفدي زكريا ، إلياذة الجزائرص19.

خاتمـــــة:

مفدي زكريا الشّاعر والرّجل السّياسي، التزم بالقضايا الوطنية و القومية، فقد رأيناه شاعر الثورة الجزائرية بلا منازع، كما وجدناه شاعر المغرب العربي الكبير، ثم شاعرا مهتما بقضايا الوحدتين العربية والإسلامية.

وفي سبيل هذه القضايا وجدناه يحطم تلك الرّتابة التي درج عليها الشعراء في الأغراض التقليدية، كالمدح والغزل، حيث كان لا يمدح إلاّ من عاش مجاهدا في سبيلها، أمّا الغزل عنده فيصير رمزا موازيا للثورة الجزائرية أو بعبارة أخرى صار الغزل عند مفدي غزلا سياسيا.

ومهما قيل عن شعر مفدي زكريا بأنّه لا يحمل الكثير من القيم الجمالية،إلاّ أنّه الغالب هو وجود عدد لانهاية له من القيم الجمالية في شعره، وعلى كل حال فقصائده، السياسية منها على وجه الخصوص، تتضمن عناصر التأثير وهذا التأثير لا وجود له إلاّ بوجود القيم الجمالية، لأنّ المعرفة دون عنصر الجمال لا تصل إلى القارئ أوالمتلقي، فالنص لا يمتلك قيمة جمالية، إلا إذا كان مؤثرا في النفس، والنتائج التي استخلصها من هذه الدراسة هي:

1- هو شاعر متميز بأصالة العريقة ولغته ذات النّبرة الحادة المصاحبة لزحم من الإيحاءات الدّالة، هو إذن طاهر طهارة رسالته النّبيلة، عفيف عفة ثورة شعبه التي خلّدها فخلّدته.

2- وفوق ذلك صاحب مدرسة شعرية متميزة، تصنع الحدث و تتميّز بحدة الصوت كوحي جمالي.

3- كان رجل حرب وقلم ، إنّه (متنبي) الجزائـر، رسول سلام في وقت الحرب و السّلم.

4- هو شاعر متشبّع بعقيدة أسلافه، عقيدة الإسلام ذات المبادئ النّبيلة، الطاهرة و ارتوى منها حتى ثمل، و تشبع من تعاليمها الخالدة، فجعلت منه شاعر الثّورة و العنف و الرّقة.

5- وظّف الدّين كرسالة عظيمة هدفها تحرير الإنسان من سلاسل الظلم و الطغيان، فكلمة (القصاص) عنده كلمة مقدّسة يأتي بها الإظهار الحق و إبطال الباطل

6- إنّ شعر مفدي زكريا رسالة منتقلة عبر الأجيال، وهو لا يعلن عن سلامه كفرد، بل يتحدّث باعتزاز عن إسلام أمّته بأكملها و فوق ذلك يصرّح بأنّ سبب استقلال الجزائر يعود إلى ارتباط الأمّة بالإسلام الذي هداها إلى طرق التحرر.

7- إنّ شعره يقدّم صورة حية للعلاقة الجدلية بين الأدب و الأحداث، و هو للأدب الرافض الذي لم يزده الاضطهاد إلاّ رفضا وتصلبا.

8- توظيف التراث: يظل التراث معلما من معالم شعره الكبرى، لأنّه كان يراه المنطلق والأساس لكل بناء ولذلك اهتم بأعلامه الأدباء والمؤرخين و السياسيين و بمواقفهم التاريخية حيث جعلها منطلق ينطلق منه في تناول القضايا الوطنية و القومية.

9- إنّ المرجعية في شعر مفدي زكريا هي أعلام القصص القرآن وأعلام الأدباء والتاريخ مما يجعلنا نهتدي إلى أنّ مفدي كان ملمّا بالقرآن الكريم في أنبيائه وملائكته وبالأدب في أعلامه وبالتاريخ قديمه وحديثه، ومن هنا تبين لنا أنّ مفدي زكريا صوت متميز، وشاعر متفرد له ميزته عن بقية الشعراء ليس في الجزائر فحسب وإنّما في الوطن العربي عموما بوصفه شاعر القضايا الوطنية والقومية، وأنّ أصالته هي التي رشحته إلى أنّ يكون شاعرا مجاوزا بين الالتزام في صورته الفكرية و الالتزام الفني ممثلا في صورته التراثية، وهذه إنّ دلت على شيء فإنّها تدل على أصالة الشاعر وعبقريته.

10- ومن العناصر الجمالية في شعر مفدي الموسيقى التي تضع حدا بين الشعر و النثر فالموسيقى تحدّد الحالة النفسية للباث و المتلقي .

ومفدي زكريا عموما في شعره يبقى أمان في رقبة الأجيال، طالما يرددون بنشيده الوطني "قسما".

01- القرآن الكريم رواية ورش عن نافع

قائمة المصادر والمراجع

أ- المصادر:

02-*ابن منظور:

- لسان العرب، المجلد الثّاني عشر، دار الصادر، بيروت، الطبعة الأولى السنة 2000.

03-*وهبة مجدي والمهندس الكامل:

- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، الطبعة الثانية، السنة 1984.

04-*مفدي زكريا:

- إلياذة الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون طبعة، السنة 2006.

05-*مفدي زكريا:

- اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون طبعة، السنة 2007.

ب- المراجع

06- *أبو القاسم سعد الله:

- دراسات في الأدب الجزائري الحديث، الطبعة الثانية، السنة 1977.

07- *إبراهيم رماني:

- المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجا،(1962،1925)، دار الطباعة والنشر الجزائر، الطبعة الثانية، السنة2001.

08- *أحمد دغان:

- شخصيات في الأدب الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون طبعة، السنة 1984.

09*أنيس بركات درار:

- أدب النضال في الجزائر (من سنة 1945 حتى الاستقلال) المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون طبعة، دون سنة.

10- *إنصاف عبد المنجد:

- علم الجمال، دار المعرفة، الطبعة الثانية، دون سنة .

11- *انصاف الربصي:

- علم الجمال، دار الفكر ناشرون وموزعون، الطبعة الثانية، السنة 2007.

12- *بلحيا الطاهر:

- تأملات في الياذة الجزائر لمفدي زكريا، المؤسسة الوطنية الجزائر، دون طبعة، السنة1989.

13-*بلقاسم بن عبد الله:

- مفدي زكريا شاعر الثورة حوارات وذكريات، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، الطبعة الأولى، السنة2003.

14- *حواس بري:

- شعر مفدي زكريا دراسة وتقويم، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، دون طبعة، السنة 1994.

15 - يحيى الشيخ صالح:

- شعر الثورة الجزائرية عند مفدي زكريا، دراسة قنية تحليلية، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الطبعة الأولى، السنة 1987.

16- *محمد زكي العشماوي:

- قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، دون طبعة، السنة 2005.

17- *محمد زكي العشماوي:

- قضايا النقد الأدبي والبلاغة، دار المعرفة، دون طبعة، دون سنة

18-*محمد الطمار:

- تاريخ الأدب الجزائري الحديث، دار النشر الجزائر،دون طبعة، السنة 2007.

19- *محمد مصايف:

- النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي، الطبعة الثانية، دون سنة.

20-*محمد ناصر:

- الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية (1925-1975)، دارالغرب الإسلامي، الطبعة الأولى، السنة 1985.

21- محمد علي:

-الشّعر والصّراع الإيديولوجي، دار الأدب لبنان ، دون طبعة،السنة 1996 .

22-*مفدي زكريا:

- أمجادنا تتكلّم ،مؤسسة مفدي للكتاب الجزائر، دون طبعة، السنة 2003

23-*سعاد محمد:

- الأدب الجزائري، منشورات العصرية لبنان المكتبة دون طبعة، دون سنة.

24 -*سعد بوفلاقة:

-دراسات في المغرب العربي، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، دون طبعة، السنة2007.

25-*السعيد الورقي:

- لغة الشعر العربي الحديث، دون طبعة، دون سنة.

26-*عبد الله ركبي:

- فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، دار النشر والتوزيع الجزائر، دون طبعة، السنة2007

27-*عبد الله الركيبي:

-قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، دار العربية للكتاب تونس، الطبعة الثالثة ، السنة 1977.

28- *عبد الملك مرتاض:

- نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر (1925-1962)، الشركة الوطنية للكتاب و التوزيع ، الطبعة الثانية، دون سنة .

29- *عمر بن قينة:

- في الأدب الجزائري الحديث (تاريخيا و أنوعا و أعلاما) ديوان المطبوعاتالجامعية الجزائر، دون طبعة، السنة 1995.

30- *صالح الخرفي:

- الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية لكتاب الجزائر، دون طبعة، السنة 1984

31-*التواتيبومهلة:

- نماذج من الثورة في النص الشعري، دار المعرفة، دون طبعة، دون سنة

المجلات:

32-مجلة الأدب و العلوم الاجتماعية، العدد الثالث نوفمبر، السنة 2005.

33- مجلة الثقافة ، وزارة الثقافة مارس ، أبريل السنة 1985.

.

الفهـــــــــــــــرس

دعـــــــــاء

تشكـــــــرّات

إهـــــــــــداء

مقـــــــــدّمة.....أ

المـــــــدخل: السيـــــــرة الذاتيـــــــة لمفدي زكـــريا..

أ-حياته 09

ب| شعره.....14

1- شعره في الثّورة الجزائرية 14

2- شعره في وحدة المغرب العربي الكبير 19

3- شعره في مناصرة القضية الفلسطينية 23

4- الجانب الإسلامي في شعره.....27

الفصل الأوّل: القيم الجمالية في شعر مفدي زكريا دراسة نظرية

1- الالتـــــــــزام.....35

2- التجديد في الأغراض التّقليدية.....39

3- الموسيقى الشعريـــــــــــة.....41

أ - الموسيقى الخارجية.....41

ب ـ الموسيقى الداخليـة 45

4ـ الصورة الشعريـــــــــــــة 48

5ـ الأسلـــوب و اللـــــــغة..... 52

6ـ المعجـــــم الشعـــــــــري..... 56

الفصل الثّاني : تجليّات القيم الجمالية دراسة تطبيقية(الإلياذة أنموذجا)

1ـ تطبيق في الموسيقى الـشعرية..... 62

2ـ تطبيق في الصورة الشعـرية..... 68

3ـ تطبيق في المعجم الـــشعري 71

4ـ تطبيق في الأسلوب و اللغــة 73

خاتمـــــــة..... 81

قائمة المصادر و المراجــع 84

الفهـــــــــرس..... 89